لافكرافت

الكتاب المشئوم

قنوات مغلقة لحبس الشر.... انفتحت فجأة

ترجمة: محمد عبد العزيز

ضياء
t.me/twinkling4

الكتـــــــاب: الكتاب المشئوم، قنوات مغلقة لحبس الشر انفتحت فجأة

اسم المـــؤلف: هوارد فيليبس لاف كرافت

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

ترجمة الكتاب: محمد عبدالعزيز

الطبعـــــة: يناير 2021

رقـم الإيـــداع: 2020 / 23168

الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 341 - 4

الموقـــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

للتواصل بخصوص النشر:

info@ibda3eg.com

publishing@ibda3eg.com

للتواصل بخصوص المبيعات

00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com

dar_ibda3

ibda3-tp

dar_ibda3

الإهداء

إلى روح العظيم د. أحمد خالد توفيق

أول من عرفني على لاف كرافت

الكتّاب المشئوم

ذكرياتي مشوشة للغاية!

بل إنني يراودني الكثير من الشك حول كيف بدأ كل شيء.

أحيانًا ما أشعر بالسنوات الماضية كوحش خفي يركض ورائي، وفي أوقات أخرى أشعر باللحظة الحاضرة كأنها نقطة منفصلة منعزلة، وسط خيط من الزمن الرمادي الذي يمتد بلا نهاية!

لست حتى متأكدًا من كيفية إيصال هذه الرسالة.

أعلم أنني أتحدث، لكن لدي شعور داخلي خفي بأن هناك حاجة إلى استخدام بعض الوسائط الغريبة - وربما الرهيبة - لتقوم بتوصيل ما أقوله لحيث سيتم سماعه.

أشعر بهويتي أيضًا قد أمست ضبابية بشكل محير. يبدو أنني عانيت من صدمة كبيرة - ربما من بعض النتائج المرعبة للتجارب الغريبة التي قمت بها.

تعود كل تلك التجارب والخبرات - بالطبع - لذلك الكتّاب اللعين!

أتذكر عندما وجدته - في مكان مظلم بالقرب من النهر الأسود ذو المياه المتسخة، حيث يحلق الضباب دائمًا. كان المكان عتيقًا للغاية، وقد امتلأت الأرفف التي يبلغ ارتفاعها السقف بالكتب القديمة، التي تمتد بلا نهاية حتى تصل إلى الغرف الداخلية الخالية من النوافذ. إلى جانب ذلك كانت هناك أكوام ضخمة عشوائية من الكتب،

والتي تراصت على الأرض، أو في صناديق بدائية، وفي إحدى تلك الأكوام عثرت عليه!

لم أعرف عنوانه أبدًا، لأن الصفحات الأولى كانت مفقودة؛ لكن الكتاب سقط مفتوحًا على صفحاته الأخيرة، فأعطاني لمحة عن شيء جعل القشعريرة تغزو جسدي.

كانت هناك صيغة – قائمة من نوع ما للأشياء التي تقولها أو تفعلها – والتي ميزت فيها أنها شيء شرير ومحرم؛ شيء قرأت عنه من قبل في فقرات تمتلئ بالرعب والانبهار، صاغها بعض السحرة المنقبين القدامى الغريبين، الذين يهتمون بالتعمق في أسرار الكون المحمية التي لطالما أحببت فهم نصوصها العتيقة. لقد كان مفتاحًا – ودليلًا – لبوابات معينة؛ كان السحرة يحلمون ويتهامسون بها منذ أن كان النسل البشري نفسه لا يزال جديدًا في ذلك العالم، وهو ما أدى إلى اكتشافات تتجاوز الأبعاد الثلاثة وعوالم الحياة والمادة التي نعرفها!

لم يتذكر أي رجل لقرون جوهره الحيوي أو يعرف مكان العثور عليه، لكن هذا الكتاب كان قديمًا جدًا بالفعل. لم يكن عليه شعار مطبعة، ولكن أثر يد راهب نصف مجنون، فقد ميزت تلك الكتابة اللاتينية المشؤومة التي تنتمي للعصور القديمة. أتذكر كيف أخذ الرجل العجوز يضحك بخبث وهو يشير بيده بطريقة غريبة عندما رآني أحمل الكتاب بين يداي.

رفض أن يتقاضى أجرًا مقابل الكتاب، ولم أفهم السبب إلا بعد مرور فترة طويلة!

وبينما أنا أُجدُّ في طريقي إلى المنزل عبر تلك الشوارع الضيقة والمتعرجة والمليئة بالضباب والمُطلة على الواجهة البحرية، راودني شعور مخيف بأن هناك من يتتبعني!

كان هناك صوت أقدام مكتوم يتبعني. وبدت المنازل العتيقة المتداعية التي تراصت على الجانبين على قيد الحياة، لكنها تعاني من داء خبيث - كما لو أن بعض القنوات المغلقة لحبس الشر قد انفتحت فجأة.

شعرت أن جدران تلك البيوت وأسقفها، والمصنوعين من الطوب العفن والجص والأخشاب التي نخر فيها الفطر، والتي تراصت فيها نوافذ شبيهة بالعيون اللامعة، لا يمنعها شئ عن السقوط فوقي لتسحقني.....

ومع ذلك، فقد اكتفيت بقراءة جزء بسيط من تلك الكتابة العتيقة التي تمتلئ بالتجديف، قبل أن أقوم بغلق الكتاب والتخلص منه. أتذكر كيف قرأت الكتاب أخيرًا - بوجه شاحب، وقد حُبست في غرفة العلية التي كرستها منذ فترة طويلة للتجارب الخاصة بي.

كان البيت الكبير ساكنًا، لأنني لم أصعد إلا بعد منتصف الليل.

أعتقد أنه كان لدي عائلة في ذلك الوقت - رغم أنني لم أعد متأكدًا من التفاصيل - وأعرف أنه كان هناك العديد من الخدم، لكنني لا أستطيع أن أحدد في أي سنة كنا، لأنني منذ ذلك الحين عرفت العديد من العصور والأبعاد، وقد ذابت كل مفاهيمي عن الوقت وأعيد تشكيلها.

قرأت الكتاب على ضوء الشموع - لأنني أتذكر سماعي لصوت قطرات الشمع الذائبة المتواترة - وكان هناك صوت أجراس يأتي بين الحين والآخر من الجسور البعيدة. يبدو أنني ظللت أتابع صوت رنين الأجراس بتركيز غريب، كما لو كنت أخشى تطفل بعض النغمات الغريبة لتقاطعه. ثم ارتفع صوت أول خدش من عند نافذة سطح تطل عالية من فوق باقي أسقف المدينة!

ارتفع ذلك الصوت بينما كنت أقرأ بصوت عالٍ السطر التاسع من ذلك الكتاب العتيق، وأثناء ارتجافي فهمت معنى ذلك الصوت. لأن من يمر عبر البوابة يصبح مصحوبًا دائمًا بظل، ولا يمكنه أن يكون بمفرده ثانية أبدًا!

يبدو أنني قد استحضرت شيئًا ما - وكان الكتاب المشؤوم هو الشيء الوحيد الذي شككت فيه. في تلك الليلة عبرت البوابة إلى دوامة من الزمن الملتوي والرؤى، وعندما حل الصباح كنت بغرفة العلية فرأيت في الجدران والأرفف تفاصيل لم أرها من قبل.

ومن لحظتها لم يعد بوسعي رؤية العالم كما عرفته!

صار الحاضر المرتسم أمام عيناي مختلطًا دائمًا بالقليل من الماضي، مع لمحة من المستقبل، وما كان بالماضي مألوفًا لعيناي صار يلوح في الأفق بمنظور جديد جلبه مجال بصري المتسع. منذ ذلك الحين صرت أشعر أنني بداخل حلم تحيط بي أشكالاً مجهولة نصف معروفة لي. وكلما عبرت بوابة جديدة كلما قل ما يمكنني التعرف عليه بوضوح من أشياء داخل المجال البصري الضيق الذي كنت محبوسًا فيه بالماضي.

كان ما رأيته عن نفسي سرًا لم يره أحد؛ فصرت أكثر ميلًا للصمت، وصرت أبتعد أكثر عن الآخرين خشية أن أكون مجنونًا. كانت الكلاب تخاف مني لأنها شعرت بالظل الخارجي الذي لم يغادر جانبي أبدًا. لكنني استمريت في قراءة المزيد - في الكتب والمخطوطات المنسية التي قادني إليها مجال رؤيتي الجديد - واندفعت عبر بوابات جديدة للفضاء والوجود والحياة، نحو جوهر الكون المجهول.

أتذكر الليلة التي صنعت فيها خمس دوائر متحدة المركز - من النيران - على الأرض، ووقفت في الدائرة الداخلية مترنمًا بذلك الابتهال المرعب الذي جلبه الرسول من منطقة "طرطري". ذابت الجدران، وحملتني ريح سوداء عبر خلجان من اللون الرمادي، تناثرت فيها قمم جبال مجهولة ذات قمم حادة على بعد أميال تحتي.

بعد فترة، خيم سواد مطلق، ثم سطع ضوء النجوم التي لا تعد ولا تحصى مكونًا كوكبة غريبة منهم. أخيرًا رأيت سهلًا مضاءً بالأخضر أسفل مني على مبعدة، ورأيت فيه الأبراج الملتوية لمدينة مبنية دون ذوق يذكر. لم أكن قد عرفتها أو قرأت عنها - أو حلمت حتى بها - من قبل.

عندما اقتربت من تلك المدينة، رأيت مبنى حجريًا ضخمًا ينتصب وسط مساحة مفتوحة، وشعرت بالخوف الشديد يتملكني. صرخت محاولًا الهروب، لكن لم تلبث موجة أخرى من الضباب أن غمرتني، وعندما انزاحت من حولي، وجدتني مرة أخرى في غرفة العلية، متمددًا فوق الدوائر الفسفورية الخمس على الأرض.

وأثناء تجوالي في تلك الليلة، لم أجد الكثير من الغرابة فيما صادفني، ليس ما يفوق ما يصادفني عادة على أي حال؛ ولكن كان هناك الكثير من الرعب!

لأنني عرفت أنني صرت أقرب إلى تلك العوالم والخلجان الخارجية أكثر مما كنت عليه من قبل. بعد ذلك صرت أكثر حذرًا في تلاوة تعاويذي، لأنني لا أرغب في الإنفصال عن جسدي وعن الأرض لأسقط في هاوية مجهولة ربما لا أعود منها أبدًا!

ذكريات!

تألق القمر الخافت الحزين فوق وادي نيس، ليشق ضوءه الضعيف طريقه بمشقة عبر أوراق الشجر الضخم. وداخل أعماق الوادي، حيث لا يصل الضوء، تحركت أشكال مبهمة لا ترغب في أن يتم رؤيتها.

وفي كل وادي زحفت نباتات متسلقة شيطانية إلى جوار النباتات الزاحفة، وسط أطلال القصور المتهدمة، لتلتف بإحكام حول الأعمدة المكسورة المنتصبة بكل ركن، واعتلت الأرصفة الرخامية التى وضعتها بعض الأيدي قديمًا، وفوق الأشجار التي تنمو عملاقة وسط الأفنية المتهالكة، بينما قفزت فوقها القردة الصغيرة، في حين تلوت بعض الثعابين السامة وبعض المخلوقات الغريبة الأخرى التي لا اسم لها خارجة وداخلة من أقبية الكنوز العميقة.

ضخمة هي الحجارة التي استلقت أسفل أغطية من الطحالب الرطبة، وقوية كانت الجدران التي سقطت عنها تلك الحجارة.

ظل بنَّاؤوهم يقيمونهم طيلة الزمان، وفي الواقع، لا تزال تلك الحجارة تقوم بدورها بنبل، لأنه من أسفلها تجد أسرابًا من الضفادع الرمادية التي اتخذتها مسكنًا.

في قاع الوادي يقع نهر، ذو مياه لزجة ومليئة بالأعشاب، يأتي من ينابيع خفية، ويتدفق إلى الكهوف الجوفية، حتى لا يعرف شيطان الوادي لماذا مياهه حمراء، ولا أين يتجه.

تحدث الجني الذي يطارد أشعة القمر إلى شيطان الوادي قائلاً:

"أنا عجوز وأنسى الكثير. أخبرني عن أفعال ومظهر وأسماء أولئك الذين بنوا هذه الأشياء الحجرية.

وكان الشيطان يجيبه:

"صحيح أن ذاكرتي قوية، وأنني على معرفة قوية بالماضي، لكنني أيضًا عجوز. كانت هذه الكائنات مثل مياه النهر، لا يمكن فهمهم. لا أذكر أفعالهم، لأنها لم تكن إلا بوحي لحظة. أما مظهرهم فأتذكره بشكل ضئيل، لأنه يشبه مظهر القردة الصغيرة التي تتسلق الأشجار. أما اسمهم فأتذكره بوضوح، لأنه كان على وزن إسم النهر. هذه الكائنات التي ظهرت بالأمس القريب كانت تسمى إنسان!

لذا طار الجني عائدًا إلى القمر الخافت الباهت بالأعلى، بينما تأمل الشيطان باهتمام قردًا صغيرًا تعلق بشجرة ظهرت وسط فناء متهدم على حين غرة.

رجل الدين الشرير!

قادني لغرفة العلية رجل هادئ الطباع، ذكي المظهر، ذو ملابس فاخرة ولحية رمادية بلون المعدن، وقد تحدث معي بهذه الطريقة الغريبة:

-نعم، لقد عاش هنا - لكني لا أنصحك بفعل أي شيء. لكم يجعلك فضولك غير المحمود هذا غير مسؤول. نحن لا نأتي إلى هنا أبدًا أثناء الليل، ونحافظ على البيت بتلك الطريقة انصياعًا لرغبته فقط. أنت تعرف ماذا فعل. لقد تولى ذلك المجتمع البغيض زمام الأمور في النهاية، ولا نعرف مكان دفنه. لم يكن هناك من سبيل للقانون أو لأي سلطة أخرى أن تصل لذلك المجتمع. أتمنى ألا تبقى بالمكان بعد حلول الظلام. وأرجو منك أن تترك هذا الشيء على الطاولة - الشيء الذي يشبه صندوق الثقاب - دون أن تلمسه. لا نعرف ما هو، لكننا نشك في أن له علاقة بما فعله. حتى أننا نتجنب النظر إليه مباشرة.

بعد فترة تركني الرجل وحدي في غرفة العلية، والتي كانت قذرة ومتربة للغاية، ولا يوجد بها إلا بعض الأثاث البسيط البدائي، لكنها كانت مرتبة وراقية بما يكفي لتُظهر أنها لم تكن بمنزل متواضع. كانت هناك أرفف مليئة بالكتب اللاهوتية والكلاسيكية، وخزانة أخرى تحتوي على أطروحات عن السحر - باراسيلسوس، والبرتوس ماغنوس، وتريثيميوس، وهيرميس تريزمجيستوس، وبوريلس، وآخرين كُتبت أسماؤهم بلغات غريبة لم أتمكن من فك رموز عناوينها. كان هناك باب، لكنه

يؤدي فقط إلى خزانة. أما المخرج الوحيد فهو الفتحة الموجودة في الأرضية التي يقودها السلم الحاد الخام.

كانت النوافذ من الطراز الذي على شكل عين الثور وذات عوارض من خشب البلوط الأسود، والتى بدت عتيقة الطراز بشكل لا يصدق. من الواضح أن هذا المنزل ينتمي لأقدم العصور الممكنة.

شعرت أنني أعرف مكاني، لكن لا يمكنني تذكر ما كنت أعرفه وقتها.

من المؤكد أن المدينة لم تكن لندن، لأنني أتذكر وجود ميناء بحري صغير.

كما أتذكر أن ذلك الشيء الصغير الموجود على الطاولة قد جذب انتباهي بشدة. شعرت أنني أعرف ماذا سأفعل به، لأنني سحبت مصباحًا كهربائيًا محمولًا - أو ما بدا لي كمصباح محمول - من جيبي وجربت ضوءه بعصبية. لم يكن الضوء الخارج منه أبيض اللون بل بنفسجيًا، وبدا أقل شبهاً بالضوء الحقيقي، وأكثر شبهًا ببعض القصف الإشعاعي. أتذكر أنني لم أعتبره مصباحًا يدويًا شائعًا - في الواقع، كان لدي مصباح يدوي من نوع شائع الاستخدام في جيب آخر.

كان الظلام قد بدأ يرخي سدوله، وقد بدت الأسطح القديمة والمداخن في الخارج غريبة للغاية من خلال زجاج النوافذ. استجمعت شجاعتي في النهاية وسندت الشيء الصغير على المنضدة فوق كتاب، ثم وجهت أشعة الضوء البنفسجي الغريب عليه!

بدا الضوء أشبه بزخات المطر أو كندفات من جزيئات بنفسجية ضئيلة أكثر من كونه شعاعًا مستمرًا. عندما اصطدمت الجسيمات بالسطح الزجاجي في منتصف الجهاز الغريب، بدا أنه يصدر صوت طقطقة كأن هناك حفنة من الشرر تمر عبر انبوب مفرغ.

أظهر السطح الزجاجي الداكن توهجًا ورديًا، ولمحت شكلًا أبيض غامضًا يتشكل في منتصفه. ثم لاحظت أنني لست وحدي في الغرفة، فسارعت بإعادة المصباح في جيبي. لكن الوافد الجديد لم يتكلم - ولم أسمع أي صوت على الإطلاق خلال اللحظات التالية!

بدا كل شيء صامتًا غامضًا، كما لو كان يُرى من مسافة شاسعة من خلال بعض الضباب الكثيف، على الرغم من أن الوافد الجديد وجميع من لحقو به فيما بعد قد لاحوا في الأفق بشكل كبير وقريب، كما لو كانوا قريبين، لكنهم في نفس الوقت بعيدين، كأنما يخضعون لقوانين فيزيائية غير التي نخضع لها.

كان الوافد الجديد رجلاً نحيلاً أسمر اللون متوسط الطول يرتدي الزي الإكليركي للكنيسة الأنجليكانية، ويبدو في الثلاثينات من عمره تقريبًا، ذا بشرة شاحبة وملامح مجهدة، وجبين عريض للغاية. أما شعره الأسود فقد صففه بأناقة، وكان حليق الذقن نظيفًا على الرغم من أن ذقنه قد بدأت تنبت بكثافة.

كان يرتدي نظارات بدون إطار بأقواس معدنية تعلو عدساتها، وقد بدت بنيته وملامح وجهه تماثلا رجال الدين الآخرين الذين رأيتهم قبلًا، ولكن جبهته بدت أعرض

بكثير، وقد بدا أكثر ذكاءً وخبثًا أيضًا. بدا متوترًا بعد أن أضاء للتو مصباح زيت خافت، وقبل أن أدرك ما يفعله وجدته يلقي بجميع كتبه السحرية في مدفأة بجانب نافذة الغرفة (حيث كان الجدار مائلًا بحدة، وهو ما لم ألحظه من قبل). التهمت النيران الكتب بشراهة، فتلمظت بألوان غريبة، وأصدرت روائح كريهة لا يمكن وصفها، بينما استسلمت الأوراق المليئة بالرموز الغريبة والأغلفة السميكة فصارت طعامًا للنيران!

ورأيت في الحال أن هناك أشخاصًا آخرين في الغرفة!

رجال ذوو مظهر مهم يرتدون زيًا دينيًا، وكان أحدهم يرتدي قبعة الأسقف. على الرغم من أنني لم أسمع شيئًا، إلا أنني استوعبت أنهم كانوا بصدد إتخاذ قرارًا شديد الأهمية بخصوص الوافد الأول. بدا أنهم يكرهونه ويخافونه في نفس الوقت، وبدا أنه يبادلهم هذه المشاعر!

أظلم وجهه، لكنني رأيت يده اليمنى ترتعش وهو يحاول الإمساك بظهر كرسي. أشار الأسقف إلى العلبة الفارغة وإلى المدفأة (حيث خمدت ألسنة اللهب بين براثن كتلة متفحمة وغير واضحة المعالم)، وبدا مليئًا بالاشمئزاز.

ابتسم الوافد الأول ابتسامة ساخرة ومد يده اليسرى نحو الشيء الصغير على الطاولة، وعندها بدا الجميع خائفين. بدأ موكب رجال الدين ينزلون السلالم شديدة الانحدار عبر الباب السفلي الموجود في الأرض، ويستديرون ويرمقونه بنظرات مليئة بالتهديد وهم في طريقهم للخارج.

كان الأسقف آخر من ذَهَبَ. اتجه الوافد الأول إلى

خزانة على الجانب الداخلي للغرفة وأخرج لفافة من الحبال. قام بتثبيت كرسي، وربط أحد طرفي الحبل بخطاف في قطعة كبيرة بارزة من خشب البلوط الأسود، وبدأ في صنع حبل مشنقة بالطرف الآخر!

بعد أن أدركت أنه على وشك شنق نفسه، مِلْتُ للأمام محاولًا ثنيه عن رغبته تلك وإنقاذه. رآني فتوقف عما كان يفعله، ونظر إلي بنوع من الإنتصار الذي حيرني وأزعجني.

نزل ببطء من فوق الكرسي وبدأ في السير نحوي وقد ارتسمت ابتسامة ذئب وحشية على وجهه الداكن ذي الشفتين الرفيعتين. شعرت بطريقة ما أنني في خطر مميت، ووجهت المصباح اليدوي الغريب نحوه كسلاح أدافع عن نفسي به. لا أعرف لماذا اعتقدت أنه يمكن أن يساعدني. قمت بتشغيله ووجهته نحو وجهه بالكامل، ورأيت الملامح الشاحبة تتوهج أولاً باللون البنفسجي ثم بالضوء الوردي.

بدأت ابتسامته الوحشية تتنحى جانبًا، مفسحة المجال لنظرة مليئة بالخوف العميق، والتي مع ذلك لم تحل بالكامل محل ابتسامته الغريبة.

توقف مكانه فجأة، ثم أخذ يرفرف بذراعيه بقوة في الهواء، وبدأ يتراجع إلى الوراء. رأيته يتجه نحو بئر السلم المفتوح على الأرض، فحاولت أن أحذره، لكنه لم يسمعني، وفي اللحظة التالية وجدته يميل للخلف عبر الفتحة وخرج من مجال رؤيتي!

وجدت صعوبة في التحرك نحو بئر السلم، لكن عندما

وصلت إلى هناك، لم أجد جثة محطمة على الأرض بالأسفل، وإنما بدلاً من ذلك وجدت مجموعة من الناس يخرجون حاملين مصابيح، لتتحطم تعويذة الصمت التي خيمت على المكان، وبدأت أسمع من جديد أصواتًا وأرى أشكالًا عادية ثلاثية الأبعاد. من الواضح أن شيئًا ما قد جذب ذلك الحشد إلى هذا المكان. هل كان هناك ضجيج لم أسمعه؟

رآني شخصين (قرويين غالبًا) في مقدمة الحشد - ووقفا مشلولين. وصرخ أحدهما بصوت عالٍ:

-لاااااا!... سيكون هووا، يا سيدي؟ مرة أخرى؟

ثم استداروا جميعًا هاربين من المكان بأقصى ما في وسعهم من سرعة.

كلهم، ما عدا واحد!

عندما ذهب الحشد رأيت الرجل ذا اللحية الذي أوصلني إلى هذا المكان، وكان يقف بمفرده ومعه مصباح. كان يحدق في وجهي وهو يلهث مأخوذ الأنفاس، لكن دون أن يبدو عليه أنه خائف. ثم بدأ يصعد الدرج وانضم إلي في العلية. قال:

- إذن فأنت لم تتركه كما قلت لك! أنا آسف. أعرف ما حدث. لقد حدث ذلك مرة من قبل، لكن الرجل خاف وأطلق النار على نفسه. لم يكن ينبغي أن تتركه يعود. أنت تعرف ماذا يريد. لكن لا يجب أن تخاف مثلما خاف الرجل الآخر. لقد حدث لك شيء غريب وفظيع للغاية، لكن ليس إلي الحد الكافي لإيذاء عقلك

وشخصيتك. إذا حافظت على هدوئك وتقبلت الحاجة إلى إجراء بعض التعديلات الجذرية في حياتك، فيمكنك الإستمرار في الاستمتاع بالعالم وثمار منحتك الدراسية. لكن لا يمكنك العيش هنا، ولا أعتقد أنك سترغب في العودة إلى لندن. أنصحك بالذهاب إلى أمريكا. لا تفعل أي شيء آخر بذلك الشيئ! لا يمكن تغيير أي شيء الآن.

إن القيام بأي شيء - أو استدعاءه - سيجعل الأمور أسوأ. لست في وضع سيئ كما كان يمكن أن يحدث لك - ولكن يجب عليك الخروج من هنا حالًا والبقاء بعيدًا. فلتشكر السماء أنه لم يحدث ما هو أكثر من ذلك... سأكون صريحًا معك إلى أقصى حد. لقد حدث تغيير معين في مظهرك الخارجي! هو دائمًا يتسبب في ذلك. لكن في بلد جديد يمكنك التعود عليه. توجد مرآة في الطرف الآخر من الحجرة، وسأخذك إليها. ستصاب بصدمة لما ستراه، على الرغم من أنك لن ترى شيئًا مثيرًا للاشمئزاز.

شعرت بنفسي أرتجف في خوف شديد، وكاد الرجل الملتحي أن يحملني حملًا وهو يسندني عبر الغرفة متجهين صوب المرآة، وقد حمل المصباح الخافت (المصباح الذي كان على الطاولة سابقًا، وليس المصباح الخافت الإضاءة الذي أحضره) بيده الحرة.

وكان هذا هو ما رأيته في المرآة: رجل نحيل داكن البشرة، متوسط القامة، يرتدي الزي الإكليريكي للكنيسة الأنجليكانية، وفي الثلاثينات من عمره على ما يبدو، ويرتدي نظارات بدون إطار، باستثناء قوسين معدنيين

تلألئا تحت جبين شاحب داكن، عريض بشكل غير طبيعي!

كان شكل الوافد الأول الصامت الذي أحرق كتبه!

ولبقية حياتي، من ناحية الشكل الخارجي، سأكون ذلك الرجل!

جرذان وراء الجدران!

قمت بالانتقال إلى قصر "إكسيهام برايوري" في ١٦ يوليو ١٩٢٣، بعد أن أنهى آخر عامل بناء أعماله.

كانت عملية الترميم مهمة شاقة، إذ لم يكن متبقياً من ذلك البناء المهجور سوى مجرد قشرة خارجية. ومع ذلك، ولأنه كان مقر أجدادي، لم أترك أي نفقات تقف عائقًا أمام محاولاتي لإصلاحه. لم يكن المكان مأهولًا بالسكان منذ عهد الملك "جيمس" الأول، عندما حدثت لصاحبه وخمسة من أبنائه والعديد من الخدم مأساة شديدة البشاعة، والتي ظلت بلا تفسير إلى حد كبير. وطردت الإبن الثالث تحت سحابة من الشك في كونه السبب فيما حدث، وهذا الإبن الثالث كان سلفي، وهو الناجي الوحيد من تلك المأساة المقيتة!

ولأن الوريث الوحيد تمت إدانته بجريمة القتل، فقد تم الإستيلاء على التركة لتصبح تابعة للملك، ولم يقم الرجل المتهم بأي محاولة لتبرئة نفسه أو لاستعادة ممتلكاته!

هرب "والتر دي لا بوير"، بارون "إكسيهام" الحادي عشر، من رعب يفوق أي ضمير أو قانون، غير راغب بشيء قدر رغبته في إبعاد ذلك الصرح القديم عن بصره وذاكرته، واستقر في "فرجينيا"، حيث أسس عائلة صارت معروفة في القرن التالي بإسم "دي لابوير".

ظل قصر "إكسيهام برايوري" غير مرغوب فيه، على الرغم من انضمامه لاحقًا لممتلكات عائلة "نوريس"، وعلى الرغم من أنه تمت دراسته كثيرًا بسبب تصميمه الفريد

الذي يتضمن أبراجًا قوطية ترتكز على بنية تحتية تنتمي للحقبة السكسونية أو الرومانية، والتي كانت بدورها تنتمي لعصور أقدم، رومانية ربما، وربما تنتمي للعصور السلتية القديمة، لو أن الأساطير التي تُحكى عنه حقيقية..

كان هذا الأساس شيئًا فريدًا للغاية، حيث تم دمجه على جانب واحد مع الحجر الجيري الصلب من الهاوية التي يطل القصر من فوقها على وادٍ مقفر على بعد ثلاثة أميال غرب قرية "أنشيستر". أحب المهندسون المعماريون والأثريون فحص هذا الأثر الغريب الذي ينتمي لقرون غابرة، لكن سكان الريف كرهوه!

لقد كرهوه منذ مئات السنين، منذ كان أجدادي يعيشون هناك، وحتى الآن يكرهوه، بكل الطحالب وعفن الإهمال الذي نما فوقه فكاد يخنقه أسفله. لم يكد يمر عليَ يومًا كاملًا في "أنشستر" قبل أن أعرف أنني أتيت من نسل بيت ملعون!

وهذا الأسبوع قام عمال بتفجير قصر "إكسيهام برايوري"، وانشغلو بمحو آثار أساساته. لطالما عرفت أصول أسلافي الذين عاشوا هنا، إلى جانب حقيقة أن أول سلف أمريكي جاء إلى المستعمرات في ظروف غريبة.

ظللت جاهلاً تمامًا بالتفاصيل الكاملة للموضوع، وهي الخصلة التي يتميز بها آل "دي لابوير"، الذين يفضلون إضفاء سحابة من الغموض على كل ما يتعلق بهم.

على عكس جيراننا من الفلاحين، نادرًا ما نتباهى بأسلافنا الصليبيين أو أبطال العصور الوسطى وعصر

النهضة، كما لم يتم التوقف عن أي نوع من التقاليد باستثناء ما قد يكون قد تم تسجيله في ظرف مختوم كان يتركه كبير العائلة قبل الحرب الأهلية لابنه الأكبر ليفتحه بعد وفاته.

الأمجاد الوحيدة التي نعتز بها هي تلك التي تحققت بعد الهجرة. أمجاد حركة "خط فرجينيا" التي قام بها جنودنا البواسل، بالرغم من عدم شهرة تلك الحركة أو الحديث عنها كما تستحق.

وخلال الحرب تبددت ثرواتنا وتغير وجودنا بالكامل بحرق "كارفاكس"، منزلنا الموجود على ضفاف نهر "جيمس"! وقد لقى جدي العجوز مصرعه اثناء تلك المأساة، ومع موته فُقِد المظروف الذي يربطنا جميعًا بالماضي. لازلت أتذكر تفاصيل ذلك الحريق اليوم كما رأيته يومها وأنا في السابعة من عمري!

أتذكر صراخ الجنود الفيدراليين، وصرخات النساء، وعويل الزنوج وصلاتهم. كان والدي وقتها في الجيش، يدافع عن ريتشموند، وبعد بعض الإجراءات الرسمية التي مررنا بها أنا وأمي، عبرنا الصفوف للانضمام إليه.

انتقلنا جميعًا إلى الشمال عندما انتهت الحرب، حيث جاءت والدتي؛ وانتقلت أنا إلى مرحلة الرجولة، أو منتصف العمر، وقد حققت ثروة ضخمة. لم يعرف والدي ولا أنا على الإطلاق ما كان يحتويه مظروف ميراثنا هذا، وعندما اندمجت في الحياة التجارية بولاية ماساتشوستس فقدت كل الاهتمام بالألغاز التي من الواضح أنها تعود لعصور قديمة في شجرة عائلتي. لو أنني كنت أملك أدنى معرفة عن تلك الأسرار، لكنت تركت بكل سرور قصر

"إكسيهام برايوري" فريسة للطحالب والخفافيش وأنسجة العنكبوت!

توفي والدي عام ١٩٠٤، ولكن دون أن يترك لي أية رسالة، ولا حتى ترك واحدة لطفلي الوحيد "ألفريد"، وهو صبي في العاشرة فَقَدَ أمه منذ زمن. كان هذا الصبي هو الذي حطم كل تلك المعلومات العائلية المغلوطة التي لدينا؛ فعلى الرغم من أنني لم أستطع إلا أن أعطي له مجرد لمحات بسيطة عن الماضي، فقد كتب هو لي عن بعض أساطير الأجداد المثيرة للاهتمام عندما أخذته الحرب المتأخرة إلى إنجلترا في عام ١٩١٧ كضابط طيران.

من الواضح أن عائلة "دي لابوير" كان لها تاريخ غريب وربما مشؤوم، بالنسبة لصديق ابني، وهو كابتن يدعى "إدوارد نوريس"، من سلاح الطيران الملكي، وكان يسكن بالقرب من مقر العائلة في مدينة "أنشيستر"، وسمع ببعض خرافات الفلاحين والتي لا يمكن إلا لعدد قليل من الروائيين تأليف ما يضاهيها في الوحشية!

وبطبيعة الحال لم يأخذ "نوريس" تلكم الحكايات على محمل الجد. لكنهم أمتعوا ابني وصنعوا مادة جيدة لرسائله الموجهة إلي.

كانت هذه الأسطورة بالتأكيد هي التي وجهت انتباهي إلى ميراثي الذي يقع عبر المحيط الأطلسي، وجعلتني عازمًا على شراء واستعادة مقر العائلة الذي عرضه "نوريس" هذا ل"ألفريد" في شكل خلاب، وعرض عليه الحصول عليه في حالة معقول بشكل مدهش، بما أن عم "نوريس" هذا هو المالك الحالي. اشتريت قصر "إكسيهام برايوري" في عام

١٩١٨، ولكن انصرف انتباهي عن كل خطط الترميم الخاصة بي على الفور تقريباً بعد عودة ابني مصاباً إصابة بالغة. خلال العامين اللذين عاشهما ابني في تلك الدنيا، لم أفكر في شيء سوى رعايته، بعد أن وضعت عملي تحت إشراف شركائي.

وحل عام ١٩٢١ لأجد نفسي مفجوعاً بوفاة ولدي الفجائية، ووجدت نفسي بلا هدف فجأة!

كنت مجرد صانع متقاعد قد تعدى مرحلة الشباب، فقررت إلهاء سنواتي المتبقية بممتلكاتي الجديدة. أثناء زيارتى ل"أنشيستر" فى ديسمبر، استمتعت بصحبة الكابتن "نوريس"، الشاب الممتلئ الودود الذي فكر كثيراً في إبني، وحصلت على مساعدته في صياغة ووضع الخطط التي انتويت القيام بها في عملية الترميم المقبلة.

لم أشعر بأي عاطفة نحو "إكسيهام برايوري"، وإن ما شعرت به كان خليطًا من أطلال العصور الوسطى المتهالكة التي غطتها طبقات من عش الغراب، أو أعشاش طيور، وشعرت به يخدر بشكل خطير نحو حافة الهاوية، عاريًا من الأرضيات أو غيرها من التفاصيل الداخلية، باستثناء الجدران الحجرية للأبراج المنفصلة.

عندما استعدت صورة الصرح تدريجياً كما كانت عندما غادره سلفي منذ ثلاثة قرون، بدأت في استقدام بعض العمال لإعادة إعماره. وفي كل مرة كنت مضطراً للخروج من المنطقة بالكامل، لأن سكان قرية "أنشيستر" كان لديهم خوف وكراهية لا حد لهما تجاه المكان!

كان هذا الشعور كبيرًا لدرجة أنه أحيانًا كان يطفو فيصل إلى العمال الخارجيين، مما تسبب في العديد من حالات الفرار؛ بينما يبدو أن نطاق هذا الشعور يشمل كلاً من البيت نفسه، والعائلة التي سكنته قديمًا.

أخبرني ابني قبلًا أن الناس كانت تتجنبه إلى حد ما خلال زياراته لأنه كان من نسل "دي لا بوير"، ووجدت نفسي الآن منبوذًا بالكامل لسبب مماثل، حتى أقنعت الفلاحين بمدى ضآلة معرفتي بتاريخ عائلتي. لكنهم بالرغم من هذا ظلوا يكرهونني بكل قوتهم، لذلك كان علي أن أعرف معظم تقاليد القرية من خلال وساطة "نوريس".

ربما سبب كراهية الناس لي هو اعتقادهم أنني أتيت لأعيد إحياء ذكرى عائلتي المشؤومة، ووجودي يرمز لمرحلة مقيتة جدًا من تاريخ قريتهم. سواء أكانوا يفكرون بعقلانية أم لا، فإن خطورة قصر "إكسيهام برايوري" بالنسبة لهم ليست أقل من الشياطين والمستذئبين.

بتجميع شظايا الحكايات التي جمعها "نوريس" لي سويًا، واستكمال تفاصيلها بروايات العديد من العلماء الذين درسوا الآثار، استنتجت أن بيت "إكسيهام برايوري" هذا ينتصب في موقع معبد يعود لزمن ما قبل التاريخ؛ زمن رجال الكهف أو ما قبلهم، وربما يكون معاصراً لصخور ستونهنج الشهيرة. تم الإحتفال ببعض الطقوس التي لا توصف هناك، ولم يشكك سوى القليلين في حدوثها. وكانت هناك حكايات غير سارة عن انتقال هذه الطقوس إلى العبادة السيبلية التي أدخلها الرومان للبلاد. لا تزال النقوش مرئية في القبو في هيئة حروف واضحة تمثل لغة

معينة لا أفهم منها شيئًا!

كانت هناك علامة ترمز للإلهة الوثنية "ماجنا ماتر"، أو "سيبيل"، التي كانت عبادتها محرمة - عبثًا - على المواطنين الرومان. كانت قرية "أنشستر" معسكرًا للفيلق الثالث بجيش الملك "أوغسطين"، كما يشهد الكثيرون، وقيل إن معبد "سيبيل" كان رائعًا يكتظ بالمصلين الذين أقاموا إحتفالات لا إسم لها بناءً على طلب كاهن فريجي.

وأضافت الحكايات أن سقوط الدين القديم لم ينه تواجد الناس في المعبد، ولا أفعالهم الشائنة، لكن الكهنة تأقلموا مع الدين الجديد دون تغيير حقيقي في إيمانهم. وبالمثل، قيل إن الطقوس لم تختف بالرغم من بطش الرومان، وإن بعض السكسونيين قاموا ببناء أجزاء جديدة على ما تبقى من المعبد، وأضفوا عليه المظهر الخارجي الذي استمر عليه فيما بعد، مما جعله مركزًا لعبادة سرية يخشى الناس الحديث عنها خلال نصف القرن الماضي.

وحوالي سنة ١٠٠٠ م، تم ذكر المكان في سجلٍ تاريخي على أنه دير حجري ضخم، يضم نظامًا رهبانيًا غريبًا وقويًا، تحيطه مساحة شاسعة من الحدائق الواسعة، التي لا تحتاج لأية جدران لتُبعد السكان الخائفين.

لم يدمره الدنماركيين أبدًا من قبل، على الرغم من أن أهميته قد تراجعت بشكل كبير بعد الغزو النورماندي. لأنه لم يكن هناك عائق عندما منح "هنري" الثالث الموقع لجدي "جيلبرت دي لا بوير"، أول بارون الأول لقصر "إكسيهام"، في عام ١٢٦١. لم يكن هناك أي ذكر لعائلتي بشكل سيء قبل هذا التاريخ، ولكن لا بد أن شيئًا غريبًا

قد حدث في ذلك الوقت!

في أحد السجلات التاريخية التي تعود لعام ١٣٠٧ كانت هناك إشارة إلى عائلة "دي لابوير" على أنها "لعنة من الرب"، بينما لم تتعد أساطير القرية الشعبية بخصوص الموضوع الخوف غير الملموس من القلعة، التي بنيت على أطلال المعبد القديم والدير.

أما الحكايات الشعبية التي يحكونها بجوار المدفأة ليلًا فكانت أبشعهم وطرًا!

كانت ذات تفاصيل مروعة، والأسوأ أنها كانت تدع المجال لخيال المستمع، فلا تذكر له التفاصيل الرهيبة، وإنما تكتفي بالتلميح. ذكروا أسلافي كسلالة تنتمي للشياطين، يتوارى إلى جانبهم المركيز "دو ساد" فيبدو كطفل أخرق!

كما كانوا يتهامسون عن مسؤوليتهم عن اختفاء العديد من القرويين على مدى عدة أجيال. وفي رأيهم أن أسوأ الشخصيات من بينهم كانوا البارونات وورثتهم المباشرون، أو كان هذا ما يتهامسون به على الأقل. كما ذكروا حكايات رهيبة أخرى عن الدسائس والمكائد التي حدثت، فيموت بسببها الوريث الشرعي في ظروف مريبة، ليفسح المجال أمام سليل آخر أوفر صحة وأقوى شخصية. بالإضافة لذكرهم المذاهب الغريبة التي تتبعها الأسرة، يترأسها كبير العائلة، وفي بعض الأحيان تكون طقوسًا سرية لا يطلع عليها أحد إلا قلة قليلة من الأعضاء، وكان من الواضح أن طباع الشخص هي التي تتحكم في المركز الذي يصل إليه في تلك الجماعة وليس نسبه، حيث دخلها العديدين ممن تزوجوا من أفراد تلك الأسرة.

أصبحت السيدة "مارغريت تريفور" الآتية من "كورنوال"، زوجة "جودفري"، الإبن الثاني للبارون الخامس، بعبعًا مفضلًا للأطفال في جميع أنحاء الريف، والبطلة الشيطانية لأغنية قديمة رهيبة لم تنقرض بعد بالقرب من الحدود مع إقليم "ويلز".

وقد ذُكرت الحكاية البشعة للسيدة "دي لا بوير" في الأغاني أيضًا، على الرغم من أنها لا توضح نفس النقطة. كانت تلك السيدة قد قُتلت بعد فترة وجيزة من زواجها من "إيرل شروسفيلد" على يده هو وأمه، وتمت تبرئة القاتلين ومنحهم الكاهن - الذي اعترفوا له بما لم يجرؤوا على ذكره لأي شخص آخر من العالم - بركته!

تسببت تلك الأساطير والأغاني، التي كانت نموذجًا للخرافات الخام، في زيادة نفوري من المكان. مثابرتهم وإصرارهم على التوغل في التاريخ والربط بين أقدم أسلافي وتلك الخرافات كان مزعجًا للغاية!

لكن المشكلة أن افتراضاتهم لتلك العادات الوحشية ذكرنا بالفضيحة المعروفة لأسلافي المباشرين، والمتعلقة بابن عمي الشاب المدعو "راندولف دي لابوير" من "كارفاكس"، الذي ذهب بين الزنوج وأصبح كاهنًا لسحر "الفودو" بعد عودته من الحرب المكسيكية.

كنت أقل انزعاجًا عند سماع الحكايات الغامضة التي تحكي عن العويل والعواء في الوادي القاحل الذي تجتاحه الرياح أسفل المنحدر الحجري؛ أو تلك التي تحكي عن رائحة المقابر الكريهة بعد أمطار الربيع، أو التي تحكي عن ذلك

الشيء الأبيض الغريب الذي داس عليه حصان السير "جون كلاف" ذات ليلة في حقل منعزل؛ أو مثلًا قصة الخادم الذي جن جنونه مما رآه في الدير في ضوء النهار. بدت تلك الأشياء مجرد قصص أشباح ساذجة مبتذلة، وكنت في ذلك الوقت متشككًا في كل شيء.

أما القصص التي تحكي عن الفلاحين المختفين فكانت أقل قابلية للرفض، وإن لم تكن ذات أهمية، خاصة في ضوء تقاليد العصور الوسطى، التي ساد بها مبدأ خطير هو أن فضول المتطفلين لا يستحق إلا الموت، وقد تم عرض أكثر من رأس مقطوع علنًا على المعاقل - التي تم طمسها الآن - حول "إكسيهام برايوري". بعض تلك الحكايات كانت رائعة للغاية، لدرجة أنها جعلتني أتمنى لو أنني تعلمت المزيد عن الأساطير المقارنة في شبابي.

على سبيل المثال، هناك ذلك الإعتقاد بأن مجموعة من الشياطين المجنحة كانت تحتفل بيوم سبت السحرة كل ليلة في الدير، وهي مجموعة قد يفسر تواجدها بالمكان توافر الكثير من الخضروات التي لا تنتمي للمنطقة في الحدائق الشاسعة المحيطة بالقصر.

أما أكثر تلك الاعتقادات قوة على الإطلاق، فكانت ملحمة الجرذان، والتي تحكي عن جيش هارب من تلك القوارض القذرة التى انطلقت من القلعة بعد ثلاثة أشهر من المأساة التي حكمت على القصر بأن يصبح بيت أشباح.

اجتاح ذلك الجيش الهزيل القذر المفترس كل ما وجده أمامه، قبل أن يلتهم البوم، والقطط، والكلاب، والخنازير،

والأغنام، وحتى اثنين من البشر سيئي الحظ، قبل أن ينتهي توحشهم فجأة كما بدأ.

هناك مجموعة كاملة منفصلة من الأساطير التي تدور حول جيش القوارض الذي لا يُنسى هذا، لأنها انتشرت بين منازل القرية وجلبت اللعنات والأهوال في إثرها. كانت هذه هي التقاليد التي هاجمتني وأنا أواصل - بعناد كبار السن الذين صرت أنتمي إليهم - أعمال ترميم منزل أجدادي.

لا تتخيلوا ولو للحظة أن هذه الحكايات شكلت بيئتي النفسية الرئيسية. فمن ناحية أخرى، حظيت باستمرار بالثناء والتشجيع من الكابتن "نوريس" وعالمي الآثار الذين أحاطوا بي وساعدوني. عندما تم الإنتهاء من المهمة، بعد أكثر من عامين من بدئها، تفقدت بفخر الحجرات الكبيرة، والجدران المكسوة بالألواح الخشبية، والسقوف المقببة، والنوافذ المائلة، والسلالم العريضة والتي عوضني منظرها عن النفقات الهائلة للترميم بالكامل. تم إعادة إنتاج كل قطعة تميز العصور الوسطى بمهارة، وتم دمج الأجزاء الجديدة بشكل مثالي مع الجدران والأساسات الأصلية. كان مقعد والدي كاملاً، وكنت أتطلع إلى الوقت الذي سيستعيد فيه القصر شهرته المفقودة من جديد، وتستعيد عائلتنا - التي ينتهي نسلها بي - سمعة حسنة بين سكان القرية مرة أخرى.

قررت أن أقيم هنا بشكل دائم، وأثبت أن من ينتمي لعائلة "دي لا بوير" (لأنني عدت مرة أخرى لاستعمال التهجئة الأصلية للاسم) لا يجب أن يكون شريرًا. ربما

زادت راحتي من حقيقة أنه على الرغم من أن قصر "إكسيهام برايوري" يبدو من الخارج كأنه ينتمي للعصور الوسطى، إلا أنه من الداخل كان جديدًا تمامًا وخاليًا من كل الحشرات والقوارض القديمة، والأشباح العتيقة على حد سواء.

كما قلت، انتقلت للإقامة هناك في ١٦ يوليو ١٩٢٣. تكون مرافقيني من سبعة خدم وتسع قطط، لأنني كما هو واضح أعشق القطط بشكل خاص. كان أكبر قططي سنًا هو القط "زنجي"، ويبلغ من العمر سبع سنوات وقد جاء معي من منزلي في بولتون بماساتشوستس؛ أما الآخرون فقد جمعتهم أثناء عيشي مع عائلة الكابتن "نوريس" أثناء ترميم القصر.

لمدة خمسة أيام كنا نعيش في روتين يومي هادئ، فكنت أقضي معظم وقتي في تدوين بيانات الأسرة القديمة. كنت قد سمعت ببعض الروايات المتداولة للمأساة الأخيرة وفرار "والتر دي لا بوير"، والتي تصورتها على أنها ربما تكون محتويات الورقة الوراثية المفقودة في حريق "كارفاكس". يبدو أن سلفي اتُهم لأسباب كثيرة بقتل جميع أفراد أسرته الآخرين، باستثناء أربعة من الخدم المتآمرين، أثناء نومهم، بعد حوالي أسبوعين من إكتشاف مروع غيّر سلوكه بالكامل، لكنه غالبًا لم يكشفه لأحد سوى الخدم الذين ساعدوه، ثم فر بعد ذلك بعيدا عن متناول يد القانون.

هذه المذبحة المتعمدة، التي شملت أبًا وثلاثة أشقاء وشقيقتين، تم التغاضي عنها إلى حد كبير من قبل القرويين، وتجاهلها القانون بهدوء لدرجة أن مرتكبها هرب

دون أن يصاب بأذى - ودون أن يحاول التخفي حتى - إلى فرجينيا، هامسًا بأنه قد طهر الأرض من لعنة سحيقة!

ما الإكتشاف الذي دفعه إلى مثل تلك الفعلة الشنيعة، لم أستطع حتى التفكير في شيء مناسب، فلابد أن "والتر دي لا بوير" هذا قد سمع مرارًا وتكرارًا ولسنوات طويلة الحكايات الشريرة التي تُحكى عن عائلته، لذلك لا يمكن أن يكون لتلك الحكايات تأثير شنيع عليه لتلك الدرجة.

هل شهد بعض الطقوس القديمة المروعة، أو عثر على رمز مخيف يعود لتلك الطقوس الشنيعة في القصر أو في المنطقة المحيطة به؟

لطالما اشتهر بأنه شاب خجول ولطيف في إنجلترا. في فرجينيا لم يبد قاسيًا أو مليئًا بالمرارة بقدر ما بدا متضايقًا قلقًا.

تم ذكره في يوميات مغامر نبيل يدعى "فرانسيس هارلي" من "بيلفيو"، بصفته رجل يتمتع بالنزاهة والشرف والحساسية الذين لا مثيل لهم!

وفي ٢٢ يوليو وقع الحادث الأول الذي، على الرغم من تجاهله إلى حد ما وقتها، اكتسب أهمية خارقة للطبيعة فيما يتعلق بالأحداث اللاحقة. كان بسيطًا جدًا لدرجة أن بوسعك تجاهله، وربما لا يمكن ملاحظته في ظل هذه الظروف؛ لأنه يجب أن نتذكر أنه بما أنني في مبنى جديد بالكامل باستثناء الجدران، ومحاطًا بطاقم لا مثيل له من الخدم، فإن التخوف من أن يتم التلاعب في أي شيء يعتبر ضربًا من السخف. ما تذكرته بعد ذلك هو ملحوظة

سخيفة:

أن قطي الأسود العجوز، الذي أعرف تقلباته المزاجية جيدًا، كان بلا شك متيقظًا وقلقًا بشكل غريب. كان يتنقل من غرفة إلى أخرى، بادي الإضطراب، وقد أخذ يتشمم باستمرار حول الجدران التي شكلت جزءًا من الهيكل القوطي القديم. أدرك كيف يبدو هذا مبتذلاً – مثل الكلب الذي لا مفر منه في قصص الأشباح، والذي دائمًا ما يهدر قبل أن يرى سيده الشكل المغطى بالشراشف – ومع ذلك لا يمكنني تجاهله للأبد.

في اليوم التالي اشتكى خادم من تحركات جميع القطط في المنزل بشكل غير طبيعي. جاء إلي في مكتبي، وهو غرفة غربية فاخرة في الطابق الثاني، بها أقواس أسقف متعرجة، وألواح من خشب البلوط الأسود، ونافذة قوطية ثلاثية تطل على منحدر من الحجر الجيري ووادي مقفر؛ وحتى أثناء حديثه، رأيت شكل قطي "زنجي" المتوتر وهو يزحف على طول الجدار الغربي ويخدش الألواح الجديدة التي تغطي الحجر القديم. أخبرت الرجل أنه ولابد هناك رائحة منفرة تنبعث من الأحجار القديمة، غير محسوسة للحواس البشرية، ولكنها تؤثر على الأعضاء الحساسة للقطط بالرغم من كل ما يغطيها من ألواح خشبية جديدة.

آمنت بهذا حقًا، وعندما اقترح الخادم وجود بعض الفئران أو الجرذان، ذكرت أنه لم يكن هناك فئران هناك منذ ثلاثمائة عام، وأنه حتى فئران الحقول في البلد المحيط بالكاد يمكن العثور عليها بين ثنايا هذه الجدران العالية، حيث لم يلمحهم أحد من قبل. بعد ظهر ذلك

اليوم اتصلت بالكابتن "نوريس"، والذي أكد لي أنه من المستحيل أن تغزو فئران حقول القصر بتلك الطريقة المفاجئة وغير المسبوقة.

قضيت ليلتي كما اعتدت، في غرفة البرج الغربي التي اخترتها لتكون غرفتي، ووصلت من غرفة المكتب عن طريق درج حجري ورواق قصير - الأول قديم جزئيًا، والثاني مرمم بالكامل، كانت تلك الغرفة دائرية، عالية جدًا، وبدون أي أخشاب تغطي جدرانها، وإنما علقت عليها ستائر مزركشة كنت قد اخترتها بنفسي في لندن. عندما رأيت أن قطي "زنجي" كان معي، أغلقت الباب القوطي الثقيل وجلست أمام ضوء المصابيح الكهربائية التي تشبه الشموع بشدة، وأخيراً أطفأت الضوء وغرقت في تأمل منحوتة حجرية، وقد قبع القط كعادته عند قدمي. لم أغلق الستائر، بل أخذت أحدق في النافذة الشمالية الضيقة التي أمامي. كان هناك اشتباه في وجود شفق قطبي في السماء، وقد غطت الظلال أركان النافذة بشكل جميل.

لابد أنني نمت في لحظة ما بهدوء، لأني أتذكر إحساسًا واضحًا بالاستيقاظ من أحلام غريبة عندما تحرك القط بعنف من وضعه الهادئ. رأيته في الوهج الشفقي الخافت، وقد امتد رأسه متوترًا إلى الأمام، وقدميه الأماميتان على كاحلي، بينما امتدت قدميه الخلفيتان إلى الخلف. كان ينظر بعمق إلى نقطة على الحائط إلى حد ما إلى يسار النافذة، وهي نقطة لم تبد لعيناي مميزة بأي شكل، ولكن كل انتباهي صار موجهًا إليها الآن. وبينما كنت أشاهد،

عرفت أن "زنجي" لم يكن متحمسًا عبثًا. لا أستطيع أن أقول ما إذا كانت الستائر قد تحركت بالفعل أم لا. أعتقد أنها فعلت، بالرغم من أنها حركة خافتة للغاية. لكن ما يمكنني أن أقسم به هو أنني سمعت من خلفها صوت حركة منخفض ومميز كحركة الجرذان أو الفئران. وفي ثانية وجدت القط يقفز على نسيج القماش المستخدم، وجلب الجزء الذي كنا ننظر نحوه إلى الأرض تحت ثقل وزنه، كاشفًا جدارًا قديمًا رطبًا من الحجر، مرممًا هنا وهناك، وخالٍ من أي أثر للقوارض. كان "زنجي" يتسابق صعودًا وهبوطًا على الأرض بجانب هذا الجزء من الجدار، ويخدش الأقمشة الساقطة ويبدو أنه يحاول أحيانًا إدخال مخالبه بين الحائط والأرضية الخشبية.

لم يجد شيئًا، وبعد فترة عاد بضجر إلى مكانه عند قدمي. لم أتحرك من مكاني، لكنني لم أنم مرة أخرى في تلك الليلة.

في الصباح استجوبت جميع الخدم، ووجدت أن أحدًا منهم لم يلحظ أي شيء غير عادي، باستثناء أن الطاهية تذكرت تصرفات قط استقر على عتبة نافذتها، وقد أخذ ذلك القط يعوي في منتصف الليل، ليوقظ الطاهية في الوقت المناسب لتراه وهو يندفع عمدًا من الباب المفتوح أسفل درجات السلم.

غفوت في الظهيرة، وفي فترة ما بعد الظهر اتصلت مرة أخرى بالكابتن "نوريس"، الذي بدا مهتمًا للغاية بما أخبرته به. استحوذت الحوادث الغريبة - البسيطة للغاية ولكن الغريبة جدًا - على إحساسه بالمناظر الخلابة، وأثارت

بداخله عددًا من خرافات الأشباح المحلية. لقد شعرنا بالحيرة حقًا من وجود الجرذان، وأعطاني "نوريس" بعض الفخاخ وبعض السم، وهي الأشياء التي جعلت الخدم يضعونها في مواقع إستراتيجية من القصر عندما عدت.

اتجهت لحجرة النوم مبكرًا، وأنا أشعر بالنعاس الشديد، لكن هاجمتني مجموعة من أشنع الأحلام. كنت فيها أنظر إلى أسفل من ارتفاع هائل على مغارة ملتوية، بدت غير عميقة ومليئة بالقذارة، حيث كان شيطانًا برأس خنزير ذا لحية بيضاء يقود بعصاه قطيعًا من الوحوش الفطرية المترهلة التي ملأني مظهرها المقزز بالكراهية التي لا توصف.

وعندما توقف قطيع الخنزير وأومأ برأسه، سقط فجأة سرب عظيم من الفئران على الهاوية النتنة، وشرعوا في التهام الوحوش والإنسان على حد سواء!

استيقظت فجأة على حركات "زنجى" أثناء ذلك الكابوس الشنيع، وكان القط نائمًا كالمعتاد عند قدمي. هذه المرة لم يكن عليّ أن أتساءل عن مصدر الصوت الغريب والهسيس، والخوف الذي جعله يقحم مخالبه في كاحلي غير مدرك لتأثيرها. فعلي جانبي الحجرة بدت الجدران حية تنضح بأصوات مثيرة للغثيان - والتي ولابد أنها أصوات جريان قطيع من الجرذان العملاقة المفترسة. لم يعد هناك شفق قطبي لإظهار حالة الأقمشة المزركشة، حيث تم استبدال الجزء المقطوع منها بجزء آخر جديد.

عندما أضاءت المصابيح، رأيت اهتزازًا بشعًا في جميع أنحاء النسيج، مما جعل التصميمات المزركشة التي تغطيها

تبدو وكأنها ترقص رقصة الموت!

اختفت هذه الحركة مرة واحدة تقريباً واختفى الصوت معها. بعد أن نهضت من فراشي، نقرت على الأقمشة بمقبض قضيب المدفأة الذي استقر بالقرب مني، ورفعت طرف القماش لأرى ما يكمن تحته. لم يكن هناك شيء سوى الجدار الحجري المرمم، وحتى القط هدأ وتوقف عن حركاته الغريبة التي تنم عن إدراكه للوجود غير الطبيعي بالمكان. عندما قمت بفحص المصيدة الدائرية الموضوعة في الغرفة، وجدت كل أبوابها مفتوحة، على الرغم من عدم وجود أي أثر لما تم القبض عليه وهرب.

لم يعد النوم خياراً وارداً، لذلك أشعلت شمعة وفتحت الباب وخرجت في الرواق باتجاه الدرج المؤدي إلى مكتبي، وقد تبعني "زنجي" عن كثب. قبل أن نصل إلى الدرجات الحجرية، اندفع القط أمامي واختفى!

عندما نزلت الدرج بنفسي، سمعت فجأة الأصوات في الغرفة الكبيرة بالأسفل؛ أصوات الطبيعة التي لا يمكن أن تخطئ في تمييزها. كانت الجدران المكسوة بألواح من خشب البلوط تموج بالجرذان التي تهرول هنا وهناك، بينما كان "زنجي" يجري وراء الأصوات بغضب صياد حائر، غير قادر على تمييز مكان فريسته.

عندما وصلت للاسفل قمت بإشعال الضوء، والذي لم يتسبب هذه المرة في تهدئة الضوضاء. واصلت الجرذان أعمال الشغب بكل قوتها، لدرجة أنني تمكنت أخيراً من تحديد إتجاه محدد لحركاتها. كانت هذه المخلوقات، وبأعداد لا تنضب على ما يبدو، منخرطة في هجرة هائلة

جماعية من ارتفاعات لا يمكن تصورها إلى عمق لا يمكن تخيله بالأسفل.

سمعت الآن خطوات في الممر، وفي اللحظة التالية فتح خادمان الباب الضخم. كانوا يفتشون المنزل بحثا عن مصدر الإضطراب المجهول الذي ألقى بكل القطط في حالة من الذعر المزمن ودفعهم للاختباء أسفل درجات السلالم مرعوبين، أمام الباب المغلق المؤدي إلى القبو الفرعي. سألتهم إذا كانوا قد سمعوا صوت الجرذان، لكنهم أجابوا بالنفي. وعندما حاولت لفت انتباههم إلى الأصوات القادمة من وراء الجدران، أدركت أن الضوضاء قد توقفت!

نزلت مع الرجلين إلى باب القبو الفرعي، لكنني وجدت القطط منتشرة في كل مكان. قررت أن أقوم في وقت لاحق باستكشاف القبو بالأسفل، لكنني في الوقت الحاضر اكتفيت بالقيام بجولةٍ لتفقد الفخاخ. كانوا جميعًا مغلقين، ومع ذلك كانوا جميعا فارغين!

ولأنني لاحظت أنه لم يسمع أحد أي صوت للجرذان سوى القطط وأنا، فقد جلست في مكتبي حتى الصباح أفكر بعمق، وأستعيد كل جزء من أسطورة اكتشفتها بشأن المبنى الذي أسكنه. نمت بعضًا من النوم في فترة الظهيرة، متكئًا على كرسي المكتبة المريح الذي لم تواتني الشجاعة على التخلص منه.

اتصلت لاحقًا بالكابتن "نوريس"، الذي جاء وساعدني في استكشاف القبو الفرعي. لم يتم العثور على أي شيء غير مرغوب فيه على الإطلاق، على الرغم من أننا لم نتمكن

من قمع شعورنا بالإثارة عند معرفة أن هذا القبو قد تم بناؤه على أيدي الرومان، وأن كل قوس منخفض وكل عمود ضخم كان رومانيًا، وليس التقليد الرخيص الذي ينتمي للعصر الساكسوني، بل ينتمي للذوق الكلاسيكي الراقي الذي يعود لعصر القياصرة؛ في الواقع، امتلأت الجدران بالنقوش المألوفة لدى الأثريين الذين استكشفوا المكان مرارًا وتكرارًا، ومن ضمن الكلمات التي أثارت انتباهي هي كلمة "أتيس"!

جعلتني الإشارة إلى "أتيس" هذا أرتجف، لأنني كنت قد قرأت بعض كتب التاريخ، وعرفت بعض الطقوس البشعة التي ارتبطت بذلك الإله الشرقي، الذي اختلطت عبادته كثيرًا مع طقوس عبادة "سيبيل".

حاولنا أنا و"نوريس"، على ضوء الفوانيس، تفسير التصاميم الغريبة والتي تكاد تكون ممسوحة من على بعض الكتل الحجرية المستطيلة غير المنتظمة التي كانت غالبًا تستخدم كمذابح، لكننا لم نستطع فهم أي شيء مما هو مكتوب عليها.

تذكرنا نقشًا معينًا، بدا كرسم يمثل شمسًا مشرقة، كان الطلاب بكليات التاريخ يستدلون بهذا النقش للإشارة إلى الأصل غير الروماني للآثار، مما يشير إلى أن هذه المذابح لم يستخدمها الكهنة الرومان إلا في بعض المراحل المتأخرة من الحضارة الرومانية، أو ربما صنعها السكان الأصليين في نفس الموقع. على إحدى هذه الكتل كانت هناك بعض البقع البنية التي جعلتني أتساءل.

أكبر تلك البقع كانت موجودة في وسط الغرفة، كانت

لها سمات معينة جعلتني أشك إلى ارتباطها بالنار - ربما كان يتم حرق القرابين عليها. كانت هذه هي المشاهد الموجودة في ذلك القبو الذي كانت القطط تعوي أمام بابه، وحيث قررت أنا و"نوريس" أن نقضي ليلتنا.

قام الخدم بانزال الأرائك إلى الدور السفلي، وأخبرناهم ألا يهتموا بأي نشاط ليلي غير معتاد يصدر عن القطط، وقررنا إبقاء"زنجي" معنا على سبيل الرفقة أكثر مما هو على سبيل المساعدة. قررنا الإبقاء على الباب المصنوع من خشب البلوط (وهو النسخة الحديثة من فتحات التهوية) مغلقًا بإحكام، وبمجرد أن انتهينا من فعل كل هذا حتى جلسنا بصحبة المصابيح المشتعلة في إنتظار ما سيحدث.

كان القبو يقع على عمق كبير جدًا في أساسات القصر، ومما لا شك فيه أنه يمتد إلى مسافة بعيدة تطل على المنحدر الصخري المطل على الوادي. كنت متأكدًا أن هدف تلك الجرذان التي سمعتها هو عبور تلك المسافة الشاسعة، لكن ما هو السبب في رغبتها هذه؟ لا أعرف.

ظللت مستيقظًا معظم الوقت، بينما كنا نرقد هناك في ترقب، لكنني من حين لآخر كنت أستسلم لسلطان النوم، فأغرق في سلسلة من الغفوات المتقطعة، توقظني منها حركات القط المفاجئة فوق قدمي.....

كنت أرى بها أحلامًا متقطعة، لكنها كانت شنيعة وشبيهة بتلك التي رأيتها قبلًا بالليلة الماضية.

رأيت من جديد تلك المغارة الغريبة، ومن جديد رأيت الشيطان وقطيعه من الوحوش الفطرية التي تترع في

الوحل، وعندما أمعنت النظر بتلك المخلوقات، بدت أقرب وظهرت تفاصيلها، بحيث تمكنت من ملاحظة ملامحها، ثم رأيت ملامح أحدهم المترهلة، واستيقظت!

استيقظت على صراخ "زنجي"، وضحكات الكابتن "نوريس"، الذي لم ينم من الأصل.

ربما كان "نوريس" سيضحك أكثر - أو أقل - لو أنه عرف سبب صرخاتي. لكنني أنا نفسي لم أستطع أن أتذكر إلا لاحقًا. غالبًا ما يشل الرعب المطلق ذاكرة البشر ليرحمهم.

ايقظني "نوريس" عندما بدات بعض الظواهر الغريبة. كنت وقتها أحلم بنفس الحلم الغريب عندما شعرت بيده تربت بخفة على كتفي طالبًا مني أن أستمع للقطط.

كان هناك الكثير من الضجيج يأتي من خلف الباب المغلق الموجود عند رأس الدرجات الحجرية. ارتفعت صرخات الكثير من القطط وخربشات مخالبها، بينما بدا "زنجي" غير مبالي برفاقه الموجودين في الخارج، وأخذ يركض في حماس حول الجدران الحجرية العارية، والتي ارتفع من خلفها نفس ضجيج الجرذان الهاربة التي أزعجتني بالليلة الماضية.

شعرت برعب حاد ينهشني من الداخل، لأن هناك أشياء غريبة - لا يمكن تفسيرها - تحدث من حولي.

حوادث شاذة لا يمكن لأي شيء طبيعي أن يفسرها.

هذه الجرذان، لو لم تكن مجرد هلاوس جنون أتشاركها مع القطط فقط، فلابد أنها تختبئ وتنزلق وراء تلك

الجدران الرومانية التي اعتقدت أنها من كتل الحجر الجيري الصلبة، ما لم يكن الماء قد فعل فعلته خلال أكثر من سبعة عشر قرنًا فنخر تلك الحجارة صانعًا وسطها أنفاقًا متعرجة تسمح لتلك القوارض القذرة بالحياة فيها...

لكن حتى معرفة ذلك لم تقلل من الرعب الذي بداخلي، لأنه لو كانت الأمور بتلك البساطة وكانت هذه القوارض مجرد كائنات حية، فلماذا لم يسمع رفيقي "نوريس" ضجيجها المقرف؟ لماذا استحثني على مشاهدة القط "زنجي" والاستماع إلى عواء القطط بالخارج، وكيف تمكن من أن يخمن بشكل غامض ما يمكن أن يثيرهم دون أن يدرك حقيقة ذاك الشئ؟

بحلول الوقت الذي تمكنت فيه من إخباره - بأكبر قدر ممكن من العقلانية - بما اعتقدت أنني أسمعه، سمعت بأذناي آخر آثار صوت اندفاعهم الشيطاني وهو يتلاشى؛ وقد يبدوا وكأنهم يندفعون نحو أسفل أعمق أقبية فرعية، حتى بدا كما لو أن الجرف الموجود بالأسفل يمتلئ عن آخره بالجرذان!

لم يكن "نوريس" متشككًا كما توقعت، وإنما بدا متأثرًا بعمق بما قلته له. أشار إلي بملحوظة تتعلق بالقطط القابعة بالأعلى، وهي أنها قد توقفت عن الصراخ فجأة، كما لو أنها قد فقدت الأمل في صيد تلك الجرذان للأبد.

بينما بدا قطي "زنجي" شديد التوتر، وقد أخذ يتخبط بجنون حول قاعدة المذبح الحجري الكبير المنتصب في وسط الغرفة، والذي كان في مكان يجعله أقرب إلى أريكة "نوريس" من أريكتي.

صار خوفي من المجهول شديدًا في تلك المرحلة، فما يحدث من حولنا غريب ومريب إلى أقصى حد. ورأيت أن الكابتن "نوريس"، وهو رجل أصغر مني سنًا، وأقوى منى جسدًا، وأكثر شجاعة على الأرجح، ويفترض أنه عقلاني لا يؤمن إلا بما يراه بشكل مادي، قد تأثر تمامًا مثلي - ربما بسبب معرفته السابقة بالأساطير المحلية المتعلقة بالمكان وبمن كانوا يقطنونه بالماضي، أجدادي!

أما في الوقت الحالي، فلا يمكننا فعل ما هو أكثر من مشاهدة القط الأسود العجوز وهو يعبث بمخالبه في ملل عند قاعدة المذبح، قبل أن ينظر لأعلى نحوي مصدرًا مواءً ناعمًا.

أخذ "نوريس" مصباحًا، ووجهه بالقرب من المذبح، وفحص المكان الذي كان يعبث فيه "زنجي" بمخالبه، وقد ركع في صمت، يحاول كشط طبقة الطحالب التي تكونت بمرور القرون على الكتلة التى تنتمى لعصر ما قبل الرومان، التي انتصبت على الأرضية المكسوة بالفسيفساء.

لم يجد شيئًا، وكان على وشك التوقف عما كان يفعله عندما لاحظت أنا شيئًا تافهًا جعلني أرتجف، على الرغم من أنه لا يتعدى ما كنت أتخيله بالفعل.

أخبرته بذلك، وأخذنا ننظر في ذهول إلى الشئ غير الملحوظ، والذي ربما لا يتعدى كونه ملحوظة تافهة من جانبي لا تستأهل كل هذه الجلبة!

تلك الملحوظة كانت أن شعلة المصباح الموضوعة بالقرب من المذبح كانت تترنح يمينًا ويسارًا، بتأثير من تيار هواء لم

تكن نتلقاه من قبل، وكان من الواضح أن ذلك التيار قد جاء من الشق الواقع بين الأرض والمذبح، حيث كان "نوريس" منحنياً يكشط تلك الطحالب!

أمضينا بقية الليل في حجرة المكتب ذات الإضاءة الشديدة، وأخذنا نتناقش بعصبية بخصوص ما يجب أن نفعله بعد ذلك. كان إكتشاف أن جزءًا من القبو أعمق من أعمق بناء يعود لعصر الرومان، وأنه أسفل ذلك المذبح اللعين يوجد منطقة لم يكتشفها الأثريون الفضوليون لثلاثة قرون كاملة، كان كافياً لإثارتنا دون أي شكوك بخصوص ما يوجد بالأسفل.

سرعان ما صار كل من الفضول والإثارة سلاحًا ذو حدين، وتسائلنا فيما إذا كان يجدر بنا أن نتخلى عن بحثنا هذا ونغادر القصر إلى الأبد آثرين السلامة، أم أن نرضي فضولنا وإحساسنا بالمغامرة مهما كانت الأهوال التي تنتظرنا في تلك الأعماق المجهولة؟ ظللنا نتناقش طيلة الليل، محاولين ترجيح كفة أحد القرارين عن الأخرى، وهو ما مثل مهمة صعبة للغاية على كلينا....

وحينما حلت شمس الصباح لتحتل كبد السماء، كنا قد اتخذنا قرارنا أخيرًا، وهو القرار الذي سنندم عليه أشد الندم!

قررنا الذهاب إلى لندن لجمع مجموعة من علماء الآثار والعلماء المؤهلين للتعامل مع مثل هذا اللغز. وتجدر الإشارة إلى أنه قبل مغادرتنا للمكان، فقد حاولنا عبثًا تحريك المذبح المركزي الحجري بمفردنا، والذي صرنا نعرف الآن أنه بوابة لحفرة جديدة تقود لرعب من نوع مجهول!

أي سر ذلك الذي سيفتح البوابة. لابد أن الخبراء الذين سنحضرهم هم من سيجدونه!

بعد قضاء بضعة أيام في لندن، عرضت أنا والكابتن "نوريس" ما لدينا من حقائق وتخمينات وحكايات أسطورية على خمس سلطات بارزة، وجميعهم رجال يمكن الوثوق بهم لاحترام أي أسرار عائلية قد تتطور إليها الاستكشافات المستقبلية المزمع القيام بها. وجدنا معظمهم جادين لم يبدوا أي سخرية من الموضوع، وإنما على العكس، أبدوا كل إهتمام وتعاطف صادقين. سألوا عن الكثير من التفاصيل المتعلقة بالموضوع بأشد إهتمام، وهو التصرف الذي حمدته لهم، وجعلني أشعر بالراحة لاختيارنا لهؤلاء الأشخاص بالذات، لأن تصرفهم هذا أشعرني بأنهم محترفين سيحسنون التعامل مع الموضوع بما يليق به.

أسماؤهم؟ لا أظنه من الضروري تسمية كل منهم، لكن يمكنني القول أن السير "ويليام برينتون"، والذي أثارت أعمال التنقيب التي قام بها في "ترود" معظم العالم، كان من بينهم. أما باقي الأشخاص فغير معروفين لكم بكل تأكيد، ولا أظن أن أسماؤهم ستعلق بعقولكم لأكثر من بضع دقائق، إن لم يكن أقل.

عندما استقلينا القطار جميعًا إلى مدينة "أنشيستر"، شعرت بإحساس مبهم يتصاعد بداخلي، وقد عزيته وقتها لأنني على شفا بعض الاكتشافات المخيفة، وهو إحساس هاجم كذلك العديد من الأمريكيين في الجانب الآخر من العالم، لكنهم بأمريكا أرجعوه إلى جو الحزن الذي خيم على العالم بسبب وفاة الرئيس غير المتوقعة.

في مساء يوم ٧ أغسطس وصلنا إلى قصر "إكسيهام برايوري"، وأكد لي الخدم عندما سألتهم أنه لم يحدث أي شيء غير عادي أثناء غيابنا. كانت القطط، حتى العجوز "زنجي"، هادئة تمامًا، ولم يُقتحم أي نخ في المنزل. كان من المقرر أن نبدأ الاستكشاف في اليوم التالي، وحتى يحل هذا الموعد، كنت قد خصصت بضعة غرف مجهزة جيدًا لجميع ضيوفي. أما عن نفسي فقد اتجهت لحجرة البرج الخاصة بي لقضاء ليلتي، مع رفيقي "زنجي" قابعًا عند قدمي كعادته.

جاء النوم بسرعة، لكن الأحلام البشعة لم تتوقف عن مهاجمتي. رأيت إحتفالًا بعيد روماني يمتلئ بالرقص والطعام، ثم لم يلبث ذلك الشيء اللعين والمتكرر، الشيطان ذا رأس الخنزير بقطيعه المقزز، أن ظهروا!

كان مجرد منظرهم المقزز كفيل بتعكير مزاجي، فقضيت نوم مزعج - طويل للأسف - لم أستيقظ منه إلا بالصباح، وكان ضوء النهار ساطعا عندما استيقظت، وقد تصاعدت الأصوات المعتادة في المنزل بالأسفل. أصوات تنظيف البيت وإعداد طعام الإفطار التي يقوم بها الخدم، وقد شعرت بالراحة لأن مثل تلك الأصوات ساعدتني على نسيان تلك الكوابيس التي شهدتها بالليلة السابقة.

لم يزعجني وجود الجرذان، سواء أكانت حية أو أشباح، وكان "زنجي" نائمًا بهدوء. قمت من رقدتي وانتعلت حذائي، ثم توجهت صوب السلم متمطعًا.

أثناء نزولي درجات السلم، وجدت أن نفس الهدوء

ساد في أماكن أخرى من البيت، وهي حالة أرجعها أحد العلماء المجتمعين - زميل اسمه "ثورنتون"، كان قد كرس نفسه وحياته لدراسة علم النفس - بطريقة سخيفة إلى حد ما لكوني قد رأيت شيء أرادت قوى معينة أن تطلعني عليه!

أصبح كل شيء الآن جاهزًا، وفي الساعة الحادية عشرة صباحًا نزلت مجموعتنا الكاملة المكونة من سبعة رجال، نحمل كشافات كهربائية قوية وأدوات حفر، إلى القبو الفرعي، وأغلقت الباب خلفنا!

كان "زنجي" معنا، لأن المحققين لم يجدوا أي سبب لاحتقار حواسه المرهفة، وكانوا راغبين بالفعل في وجوده في حالة حدوث تلك الحوادث الغامضة، لمعرفة كيف سيتصرف، فأي عدو أفضل من قط لبضعة جرذان؟

لاحظنا النقوش الرومانية وتصميمات المذابح غير المعتادة، وقد تعرف عليها ثلاثة من العلماء، لأنهم رأوها من قبل، وجميعهم يعرفون خصائصها. ثم توجهوا بكامل إهتمامهم للمذبح المركزي، وفي غضون ساعة، بناءً على تعليمات السير "ويليام برينتون"، كان المذبح قد مال للخلف، بعد وضع بعض الأنواع غير المعروفة من الأثقال لابقائه في ذلك الوضع حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه فيما بعد بينما نحن بالأسفل.

بعد أن انزاح ذلك المذبح الحجري، تكشف لنا عن شيء كان من الممكن أن يكون مصدرًا للرعب لو أننا لم نكن مستعدين.

من خلال فتحة مربعة ظهرت في الأرضية المكسوة بالبلاط، مترامية الأطراف على مجموعة من الدرجات الحجرية المتهالكة للغاية، رقدت أمام أعيننا مجموعة مروعة من العظام البشرية، أو شبه البشرية!

أولئك الذين احتفظوا بترابطهم كهيكل عظمي كامل أظهروا وضعًا يدل على الخوف الشديد، وقد بدت على جميع تلك الهياكل آثار أنياب تدل على قضم القوارض!

لم تدلنا تلك الجماجم والهياكل العظمية على أي شيء آخر مهما أخذنا نفحصها، أما فوق الدرجات المتناثرة، فقد كان هناك ممرًا يهبط لأسفل، وقد بدا محفورًا في الصخور الصلبة، ويصل عبره تيارًا من الهواء.

لم يكن هذا التيار اندفاعًا مفاجئًا كما يحدث من قبو مغلق، بل كان نسيمًا باردًا يحمل شيئًا من النضارة بداخله. لم نتوقف طويلًا، لكننا بدأنا في إخلاء ممر أسفل تلك الدرجات ونحن نرتجف.

ثم صدرت ملحوظة غريبة من السير "ويليام"، والذي كان يقوم بفحص الجدران المحفورة، مفادها أن ذلك الممر، وفقًا لاتجاه ضربات النحت في جدرانه الصخرية، يجب أن يكون محفورًا من أسفل لأعلى.

يجب أن أكون حذرًا للغاية الآن، وأختار كلماتي بعناية!

بعد تنظيف بضع درجات من العظام المشوهة، رأينا أن هناك ضوء يأتي من الأمام. ليس أي ضوء مجهول المصدر، بل هي حزمة من ضوء نهار لا يمكن أن تأتي إلا متسللة عبر بعض الشقوق غير المعروفة في الجرف الذي

يطل على الوادي.

تلك الشقوق لم تكن ملحوظة من الخارج وأفلتت من الملاحظة لأكثر من سبب، وأولها أن ذلك الوادي خالياً من السكان بالكامل منذ قديم الزمن، وثانيها أن الجرف مرتفع جداً وصعب الوصول إليه من الخارج، بحيث لا يستطيع سوى طيار محترف الوصول إليه ودراسته بالتفصيل.

بضع خطوات أخرى، وانحبست أنفاسنا في الصدور بمعنى الكلمة مما رأيناه، لدرجة أن "ثورنتون"، المحقق النفسي، فقد وعيه بين ذراعي الرجل المذهول الذي وقف خلفه.

أما "نوريس"، فقد شحب وجهه الممتلئ، بينما أخذت أنا ألهث وقد غطيت عيناي، بينما أخذ الرجل الذي وقف ورائي - الوحيد من تلك المجموعة الذي يكبرني سناً - يصرخ بصوت أجش:

-يا إلهي!

من بين سبعة رجال مثقفين بالمكان، لم يتمكن غير السير "ويليام برينتون" من الحفاظ على رباطة جأشه، وهي نقطة أضيفت إلى رصيده، لأنه أمسك زمام الأمور، ولابد أنه قد رأى المشهد أولاً قبل أي واحد منا.

كانت مغارة ذات ارتفاع هائل تمتد إلى أبعد مما يمكن أن تراه أي عين. بدت كعالم من الغموض اللامتناهي يمتد تحت الأرض. عالم كامل يمتد أسفل العالم الذي نعيش به!

كانت هناك مبانٍ وبقايا معمارية أخرى كذلك.

وبنظرة مرعوبة لم تستغرق إلا ثانية واحدة، رأيت مدافن غريبة الشكل والتصميم، ودائرة من الأحجار المتراصة، انتصبت بالقرب منها أطلال رومانية منخفضة القبة، وبقايا حجرية تنتمي للعصر الساكسوني، وصرحًا خشبياً ينتمي لمرحلة مبكرة من التاريخ الإنجليزي، ولكن كل هذا تضاءل أمام مشهد الأرض المرعب!

امتدت أمتار كاملة من الأرض تغطيها أكوامًا من العظام البشرية!

امتدت تلك المساحة فبدت كسطح بحر متلاطم الأمواج، بعضها فوق بعض، أجزاء منها عالية، وأجزاء أخرى منخفضة، وقد بدت بعض تلك الهياكل في أوضاع غريبة أوضحت أن آخر لحظات في حياة أصحابها البائسين كانت مليئة بالرعب والفزع. شعرت برجفة تسري أسفل ظهري وأنا أتأمل ذلك المنظر المرعب الذي امتد أمام أعيننا فيما يبدو بلا نهاية.

أثارت تلك العظام ومنظرها إهتمام العلماء، لما بدا عليها من صفات غريبة، فقد بدت كأن هناك بعض الأنياب التي خدشتها بكل قوة!

أتراها علامات أنياب آكلي لحوم بشر؟

عندما انحنى دكتور "تراسك"، عالم الأنثروبولوجيا، لمحاولة التعرف على تلك الجماجم وأصلها، وجد مزيجًا متحللًا حيره تمامًا. كانت معظم تلك العظام تنتمي لرجل "بلتداون"، وهو يعتبر إحدى مراحل تطور الجنس

البشري.

كانت بعض العظام تعود لمخلوقات أخرى، تنتمي لدرجات أعلى في سلم التطور، وكان عدد قليل جدًا منهم جماجم تنتمي للأنواع المتقدمة للغاية والحساسة، لكن النقطة المشتركة بين كل تلك العظام الممتدة أمامنا هي أنها خرجت من تحت أنياب قوارض!

واضح أن معظمها آثار أسنان جرذان، ولكن كان بعضها آثار أسنان مخلوقات أخرى، من مراحل عتيقة من سلالة البشر، وقد اختلطت معهم عظام جرذان صغيرة، لابد أنها أعضاء الجيش الفتاك الذي تسبب في تلك الملحمة العتيقة التي تمتد أمامنا مرأى البصر.

أتساءل عما إذا كان أي رجل بيننا قد تمكن من الحفاظ على قواه العقلية خلال ذلك اليوم البشع بعد ما اكتشفناه. ليس بمقدور أي كاتب رعب - حتى لو كان بعظمة "هوفمان" أو "هيسمان" - أن يتخيل مشهدًا أكثر جموحًا، أو أكثر إثارة للرعب، أو أكثر بشاعة من الناحية القوطية، من الكهف الصغير الذي ترنح داخله سبعة منا؛ كل منهم يصادف مشهد مرعب مختلف عما يراه الآخرون، ويحاول أن يمتنع عن التفكير في الأحداث الشنيعة التي حدثت هناك قبل ثلاثمائة سنة، أو ألف، أو ألفين، أو ربما عشرة آلاف سنة، فأدت لهذا المشهد الموجود أمامنا.

بدا ذلك المكان كأنه حجرة انتظار بالجحيم، وسرعان ما فقد "ثورنتون" المسكين وعيه مرة أخرى عندما أخبره "تراسك" أن أصحاب تلك الهياكل العظمية ولابد قد تم انزالهم لهذا المكان كأنهم قطيع من الدواب، خلال العشرين جيلًا

الماضية مثلًا. تزايد الرعب داخلنا عندما بدأنا في تفقد البقايا المعمارية. كانت تلك الدواب - مع حراسهم الذين ينتمون لسلالة أعلى في سلم التطور - محبوسين داخل حظائر حجرية، والتي لابد أنهم قد دمروها أثناء هياجهمم الأخير بسبب الجوع، أو بسبب الخوف من جيش الجرذان.

كانت هناك قطعان كبيرة منهم، من الواضح أن تسمينها كان يتم بالخضروات الغريبة التي أمكن رؤية بقاياها كنوع من العلف المسموم، في قاع صناديق حجرية ضخمة أقدم من روما نفسها. عرفت الآن لماذا كان لدى أسلافي مثل هذه الحدائق الغناء الممتلئة بالكثير من النباتات - ولكن أتمنى لو أنني أنسى ما رأيته!

لم أكن في حاجة إلى أن أسأل عن الغرض من تلك القطعان!

قام السير "ويليام"، والذي وقف حاملًا كشافه وسط الأطلال الرومانية، بترجمة - بصوت عالي - أكثر الطقوس إثارة للصدمة التي سممعت بها على الإطلاق؛ وأخبرنا عن النظام الغذائي لتلك الجماعة التي تنتمي لزمن ما قبل الطوفان، والتي عثر عليها كهنة "سيبيل"، وقرروا خلطها مع عبادتهم!

لم يستطع "نوريس"، بالرغم من أنه معتاد على إستخدام الخنادق، المشي بشكل مستقيم عندما خرج من المبنى الإنجليزي. كان ذلك المبنى يستخدم بالماضي كمزيج من متجر جزار ومطبخ - وقد توقع ذلك - ولكن كان من الصعب جدًا رؤية أدوات إنجليزية مألوفة في مثل هذا

المكان، أو قراءة كتابات مألوفة باللغة الإنجليزية بتلك الأبنية، والتي يعود أحدثها لعام ١٦١٠.

لم أستطع الدخول إلى ذلك المبنى - ذلك المبنى الذي لم يتوقف ما دار بداخله من نشاطات شيطانية وأفعال جهنمية إلا بسبب خنجر سلفي "والتر دي لا بوير" الذي امتد ليسفك العديد من الأرواح!

ما جازفتُ بالدخول إليه بالنهاية كان المبنى المنخفض الذي يعود للعصر الساكسوني، الذي سقط بابه البلوطي من مكانه، وهناك وجدت صفًا رهيباً من عشرة زنازين حجرية بقضبان صدئة، وقد حظيت ثلاث منها فقط بمقيمين، وقد بدت جميع الهياكل العظمية المرتمية داخل الزنازين لكائنات تنتمي لنقطة عالية في سلم التطور، وحول السبابة العظمية لأحدهم التف خاتمًا يحمل شعار عائلتنا العريقة!

وجد السير "وليام" قبواً به زنازين أقدم بكثير أسفل الكنيسة الرومانية، لكن هذه الزنازين كانت فارغة. أسفلها امتد سرداب منخفض - واضح أنه كان مدفن في وقت ما - وقد تراصت بداخله مجموعة من العظام التي تم ترتيبها بشكل رسمي، بعضها يحمل نقوشًا باللاتينية واليونانية، وبعضها يحمل نفوشًا بلغة الفريجيين.

كان الدكتور "تراسك" في هذه الأثناء قد فتح أحد المدافن التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وأخرج للضوء بعض الجماجم التي بدت أقرب شبهًا بالبشر منها لجماجم الغوريلات، وكانت تحمل نقوشًا مليئة بالصور التي لا توصف ولم أر مثلها من قبل بحياتي.

والغريب أن قطي قد بقى هادئًا وسط كل هذا الرعب.

ذات مرة رأيته جالسًا على قمة جبل من العظام، وتساءلت عن كنه الأسرار التي تكمن خلف عينيه الصفراوين. هل هو مدرك للمكان الذي نحن فيه؟ وهل لاحظ نفس ما لاحظناه نحن؟ أم أنه أدرك أهوالًا أكثر شناعة من التي التقطتها أعيننا البشرية القاصرة؟ لكم تمنيت لو كان بوسعه الحديث.

بعد أن أدركنا إلى حد ما الاكتشافات المخيفة لهذه المنطقة المنسية - وهي منطقة تنبأ بها حلمي المتكرر بشكل بشع - لجأنا إلى ذلك الكهف المظلم الذي بدا عميقًا بلا حدود، حيث لا يمكن لأي شعاع من الضوء آتيًا من الجرف أن يخترقه. لن نعرف أبدا أي عوالم مرعبة رهيبة تقبع خلف ذلك الكهف، فيما وراء المسافة الصغيرة التي قطعناها، لأننا أدركنا في داخلنا أن هذه الأسرار ليست مناسبة للبشر!

ولكن كان هناك الكثير مما أثار اهتمامنا، لأننا لم نكد نبتعد كثيرًا حتى أظهرت الكشافات أعدادًا لا نهائية من الحفر التي كانت الجرذان تتغذى فيها، والتي دفع نقصها المفاجئ جيش القوارض المفترس إلى التجديد، فقاموا أولاً بالتهام القطعان الحية المتضورة جوعًا، قبل أن ينطلقوا من القصر في هجمتهم التاريخية البشعة التي دمرت البلدة، والتي لن ينسها الفلاحون أبدًا.

يا الله!

كانت هناك الكثير من تلك الحفر السوداء التي امتلأت

بالعظام المنهوشة، الهياكل المكسورة، والجماجم المفتوحة!

امتلأت تلك الصدوع الكابوسية بالعظام من مختلف العصور، السلتية، والرومانية، والإنجليزية التي رقدت هنا رقدتها الأبدية هذه لقرون لا حصر لها!

كان بعض تلك الصدوع ممتلئًا، لا يمكن لأحد أن يحدد مدى عمقها، بينما بدا البعض الآخر بلا قاع، لأن كشافاتنا لم تتمكن من كشف نهاية لها.

فكرت، ماذا عن الجرذان التعسة التي تعثرت في مثل هذه الفخاخ وسط خيبة مساعيها في هذا المكان المروع الذي يبدو كأنه حجرة إنتظار الجحيم؟

بمجرد أن انزلقت قدمي بالقرب من حافة الهاوية البشعة، شعرت بلحظة من الخوف الشديد. لا بد أنني ظللت أفكر لوقت طويل، لأنني لم أستطع رؤية أي من رفاقي، سوى الكابتن "نوريس". ثم جاء صوت من تلك المسافة البعيدة التى لا حدود لها والتى اعتقدت خاطئًا من قبل أنني أعرفها؛ ورأيت قطي الأسود العجوز يتهادى كأنه إله مصري مجنح، متجه مباشرة نحو ذلك الوادي المجهول!

لكن لم تكد تمر لحظات حتى فهمت سبب حركة القط!

تردد صوت هروب تلك الجرذان القذرة، وهي تنطلق باحثة عن أماكن جديدة تغزوها وتبث فيها الرعب والأهوال، ومصممة على قيادتي حتى إلى تلك الكهوف التي فغرت أفواهها في مركز الأرض حيث يصرخ "نيارلا حوتب"، الإله الوثني القديم الذي بلا وجه، على عازفي الفلوت القبيحين الذين بديا ككائنين أتيا من أشنع

الكوابيس.

وهنا انتهت حياة الكشاف الخاص بي، لكنني استمريت في الركض!

سمعت أصواتًا، وصيحات، وأصداءً، ولكن فوق كل هذا، ارتفع صوت ما بخفة ليطغي فوق كل ما عداه. كان صوت عدو مئات الأقدام الصغيرة الخبيثة الشريرة؛ أخذ ذلك الصوت يرتفع رويدًا ليطفو فوق كل صوت آخر، كأنه جثة منتفخة متصلبة ترتفع بهدوء لتطفو فوق نهر زيتي ثقيل، يتدفق ليصب في بحر أسود فاسد.

اصطدم بي شيء - شيء طري ورخو.. لابد أنها كانت تلك الجرذان. ذلك الجيش المفترس الشرير الذي يتغذى على الأموات والأحياء.... لماذا لا يجب على الجرذان أن تأكل نسل "دي لا بوير"، كما إعتاد أسلاف "دي لا بوير" على التهام الأشياء المحرمة؟...

لقد التهمت الحرب ابني، عليهم اللعنة جميعًا!

وأضرم الأمريكيون النار ليحرقوا أسلاف "دي لا بوير"، ومعهم أحرقوا السر!

السر.....

لا، لا، أقول لك، أنا لست ذلك الشيطان ذا رأس الخنزير الذي وقف داخل الكهف الصغير!

كما لم يكن وجه "إدوارد نوريس" السمين فوق ذلك الجسد المترهل المقزز الذي بدا كجسد فطر!

من قال أنني أنتمي ل "دي لا بوير"؟

لقد عاش ، لكن ابني مات!...

هل يمكن أن يمتلك رجل من نسل آل "نوريس" أراضي "دي لابوير"؟...

أقول لكم إن كل هذا نتيجة لسحر الفودو...

هذا الثعبان المرقط مثلًا...

اللعنة عليك يا "ثورنتون"، سأعاقبك على إغماءك عندما رأيت ما فعلته عائلتي!...

"سبلاود"، لكم أنت أحمق! أيستحق. المشهد الذي أمامنا كل تلك الجلبة التى قمت بها؟ لقد صرخت كأنك طفل سخيف.

أما أنا فسأتعلم كيف أتذوق ما.... ما إعتاد أسلافي على التهامه..... سيكون الموضوع صعباً بالبداية، لكنني سأفعلها!

أعدكم أنني سأفعلها، فبعد كل شيء، أنا الوحيد الباقي من نسل "دي لا بوير"، وعاتق تلك المهمة الصعبة يقع على كتفي.

ماجنا ماتر! ماجنا ماتر!..

أجوس باس دونات أورت!

هذا ما يقولون أني قلته عندما وجدوني في الظلام بعد ثلاث ساعات، ومعها الكثير من الكلمات الأخرى التي لم يفهم منها احد شيئاً.

وجدوني رابضًا وسط الظلام فوق جسد الكابتن "نوريس" الممتلئ الذي تم التهام نصفه، وقد قفز قطي الخاص نحوي، محاولًا تمزيق حلقي!

قاموا بتفجير قصر "إكسيهام برايوري"، وأخذوا القط الخاص بي "زنجي" بعيدًا، وقاموا بحبسي في تلك الغرفة ذات القضبان المعدنية في مدينة "هانويل"، وأخذوا يتهامسون بكلام مخيف عن النسل الملعون الذي أتيت منه! نسل يستحق الحرق والنسيان.....

كان "ثورنتون" موجود في الغرفة المجاورة، لكنهم منعوني من التحدث إليه. كما أنهم يحاولون أيضًا قمع معظم الحقائق المتعلقة بالقصر. عندما أتحدث عن "نوريس" المسكين يتهمونني بأمر بشع، لكن يجب أن يعلموا أنني لم أفعله!

يجب أن يعرفوا أنها كانت الجرذان؛ الجرذان التي تجري طيلة الوقت فلا تترك لعقلي المجال ليرتاح ولو لدقائق، ولا تترك لي الفرصة لانام حتى!

تلك الجرذان الشيطانية التي تقبع وراء كل تلك الأصوات التي تتصاعد من وراء جدران تلك الغرفة، والتي قادتني إلى أهوال أعظم من أي شيء عرفته من قبل؛ الجرذان التي لا يمكنهم سماعها أبدًا؛ الجرذان الموجودة وراء الجدران.....

منزل غريب وسط الضباب

يظهر الضباب آتيًا من جهة البحر بالقرب من المنحدرات الكائنة خلف مرفأ "كينج" في الصباح.

يظهر ذلك الضباب أبيض اللون، خفيف الوزن كالريش، آتيًا من وسط الغيوم، تكاد تشعر به آتيًا من عالم الأحلام وكهوف "لوياثان" المهجورة.

وعندما حل الصيف الذي لا تزال تتساقط فيه الأمطار على أسطح بيوت الشعراء المنحدرة، بعثرت الغيوم أجزاءً من تلك الأحلام، أجزاء تحكي عن أسرار قديمة وغريبة، وعن عجائب تهمس بها الكواكب لبعضها البعض عندما تكون وحدها بالسماء في الليل، عندما تحلق الحكايات كثيفة فوق الكهوف المهجورة، أو عندما يصرخ محار المدن البحرية بنغمات برية تعلمها من الكيانات القديمة، عندها يتدفق ضباب كثيف إلى السماوات، محملًا بالمعرفة، ولا ترى عيون المحيط الموجودة على الصخور سوى مساحة بيضاء، كما لو كانت حافة ذلك الجرف هي حافة الأرض برمتها، وقد أخذت الأجراس المهيبة للعوامات تقرع في حرية وسط الأثير.

أما الآن، في شمال منطقة مرفأ "كينج" القديم، فقد شرعت المنحدرات الصخرية الشاهقة تتسلق شرفة بعد الأخرى، حتى تتدلى الشرفة الموجودة في أقصى الشمال وسط السماء مثل سحابة رياح رمادية وحيدة.

بدت تلك الشرفة وحيدة كنقطة قاتمة تبرز وسط مساحة شاسعة بلا نهاية، حيث يتحول الساحل هناك

ليصبح طرف حاد، يطل على المكان الذي يصب فيه نهر "ميسكاتونيك" العظيم (نهر خيالي) بعد خروجه من السهول، مرورًا بمدينة "أرخام"، مما يستدعي أساطير الغابات وذكريات غريبة عن تلال "نيو إنجلاند".

ينظر الصيادين في مرفأ "كينج" إلى ذلك الجرف في الوقت الذي ينظر فيه الصيادين الآخرين إلى النجم القطبي، ويضبطون ساعات الليل حسب ظهور أو اختفاء نجم الدب العظيم، وكاسيوبيا، والتنين.

بعض تلك النجوم تتخفى بين ثنايا السماء، فلا تظهر للناظرين، خصوصًا عندما يخفي الضباب النجوم أو الشمس.

الجدير بالذكر أنهم يحبون بعض المنحدرات، مثل تلك التي يسمونها "الأب نبتون"، أو تلك التي يسمون درجات الممشى الخاصة بها بإسم "الطريق"، لكنهم يخشون هذا الأخير بشدة لأنه قريب جدًا من السماء.

قام البحارة البرتغاليون القادمون من رحلة برسم الصليب على صدورهم عندما رأوها لأول مرة، ويعتقد الأمريكيين القدامى أن تسلقه سيكون أخطر بكثير من الموت، لو أن شيئ كهذا ممكنًا.

ومع ذلك، انتصب ذلك البيت القديم على ذلك الجرف، وفي المساء يرى الرجال الأضواء في النوافذ الصغيرة. لطالما كان ذلك المنزل القديم موجودًا، ويقول الناس إن هناك شخصًا يسكن فيه بوسعه الحديث مع ضباب الصباح الذي يخرج من الأعماق، وربما يرى أشياء غريبة - لا

يجروء على رؤيتها غيره - وسط مياه المحيط في الأوقات التي تصبح فيها حافة الجرف هي حافة الأرض برمتها، بينما أجراس العوامات تدق بحرية وسط السماء البيضاء الخالية.

لكن كل ما يتحاكون به هو مجرد إشاعات، لأن هذا المكان المحرم لا يزوره أحد، كما أن السكان الأصليون يكرهون توجيه تليسكوباتهم نحوه. أما زوار الصيف الفضوليين فقد قاموا بمسح كل جزء تمكنوا من الوصول إليه بمناظيرهم الأنيقة، ولكنهم لم يتمكنوا من رؤية ما هو أكثر من السقف الرمادي البدائي، الذي تمتد حوافه لتصل حتى أساس البيت الرمادي اللون، والضوء الأصفر الخافت الذي التمع خلف زجاج النوافذ الصغيرة التي برزت من أسفل حواف السقف في الغسق.

لا يعتقد زوار الصيف هؤلاء أن نفس الشخص هو من عاش في المنزل القديم طيلة ذلك الوقت، والذي يمتد لمئات السنين، لكن لا يمكنهم إثبات ادعائهم هذا لأي من ساكني مرفا "كينج" القدامى.

حتى الرجل العجوز المرعب الذي يقضي وقته في الحديث إلى البندول الرصاصي الذي يتدلى داخل زجاجة، ويشتري بقالته بالذهب الإسباني، ويحتفظ بتماثيل حجرية في فناء كوخه الذي كان يعيش فيه من زمن ما قبل الطوفان في شارع "ووتر"، لا يمكنه إلا أن يقول أن الأمور كانت على نفس هذا الحال عندما كان جده صبيًا، ولا بد أن ذلك لم يكن من الممكن تصوره منذ زمن بعيد بعيد.....

ثم جاء فيلسوف ذات صيف إلى مرفأ "كينج"، وكان اسمه "توماس أولني"، وكان يقوم بتدريس الكثير من المواد المملة في كلية تقع بالقرب من خليج "ناراغانسيت". جاء بزوجة شجاعة وأطفال مرحين، وكانت عيناه متعبتين من رؤية الأشياء نفسها لسنوات عديدة، والتفكير في نفس الأفكار المنظمة.

أخذ يتأمل الضباب المتحلق في السماء من فوق مياه البحر ومن فوقه، وتخيل نفسه يحاول السير في عالمهم الأبيض الغامض المترامي الأطراف، على طول الدرجات العملاقة التي تصنع "الطريق".

صباحًا بعد الآخر كان يرقد على المنحدرات وينظر من فوق حافة العالم عند الأثير الخفي وراءه، ويستمع إلى صوت أجراس خفية، وصرخات جامحة لما قد يكون قطيع من النوارس المتحلقة وسط الضباب.

وعندما ينقشع الضباب ويبرز البحر بدخان السفن البخارية التي تشقه واحدة وراء الأخرى، حتى يتنهد الرجل وينزل متجهًا صوب المدينة، حيث يحب أن يمر عبر الممرات القديمة الضيقة صعودًا وهبوطًا عبر التل، ودراسة الجملونات (أطراف الجدران الخارجية التي تلامس الأسقف) المتداعية الغريبة المنظر، ومداخل البيوت الشاذة ذات الأعمدة التي كانت تؤوي أجيالًا عديدة من قوم البحار الأقوياء. حتى أنه تحدث مع الرجل العجوز المرعب، والذي لم يكن مولعًا بالغرباء، ودعي إلى كوخه القديم المخيف، حيث تسمع الأسقف المنخفضة والألواح الخشنة أصداء مناجاة مقلقة في الساعات المظلمة

الأخيرة من اليوم.

بالطبع كان من المحتم أن يضع "أولني" علامة على الكوخ الرمادي غير المرئي في السماء، على تلك الصخرة المشؤومة باتجاه الشمال والتي تنتصب وسط الضباب والظلام.

لطالما كان معلقًا دائمًا فوق مرفأ "كينج"، ودائمًا ما كان يتحاكى الناس عن سره همسًا وسط أزقة مرفأ "كينج" الملتوية. حكى الرجل العجوز الرهيب حكاية قالها له والده عن البرق الذي انطلق في إحدى الليالي من ذلك الكوخ إلى غيوم السماء العليا، وعن الجدة "أورني"، التي كان مسكنها الصغير ذو الأسقف في شارع "شيب" مغطى بالكامل بالطحالب ونبات اللبلاب، والتي انحنت فوق شيء سمعته جدتها من الخارج ، وحكى له كذلك عن الأشكال التي رفرفت خارجة من الضباب الشرقي، منطلقة مباشرة نحو الباب الوحيد الضيق، متجهة نحو البيت الغريب الذي لا يمكن الوصول إليه - لأن الباب يقع بالقرب من حافة الصخرة باتجاه المحيط، ولا يمكن رؤيته إلا للسفن في البحر.

ولأنه كان متعطشًا لرؤية أشياء غريبة جديدة، ولم يتراجع بسبب خوف سكان مرفأ "كينج" القدامى، ولا كان عنده التراخي المعتاد من زائري الصيف، فقد اتخذ "أولني" قرارًا رهيبًا. على الرغم من حياته المنظمة المعتادة - أو ربما بسببها، لأن الحياة الرتيبة تولد الشوق الحزين للمجهول والمغامرة - فقد أقسم اليمين على زيارة ذلك الجرف الشمالي الذي يتجنبه الجميع، وزيارة الكوخ الرمادي العتيق الموجود في السماء!

من المعقول جدًا أن الجزء العقلاني بداخله قد جادله بأن المكان ولابد يستأجره الأشخاص الذين يستطيعون الوصول إليه من طريق داخلي خفي، يمتد على طول التلال الأسهل في التسلق، بجانب مصب نهر "ميسكاتونيك".

ربما كانوا يتاجرون في "آرخام"، مدركين مدى ضآلة إعجاب سكان مرفأ "كينج" بمكان سكنهم.

سار "أولني" على طول المنحدرات الصغرى إلى حيث قفز الجرف العظيم بوقاحة ليلتحم مع السماء، وأصبح متأكدًا بالكامل من أنه لا يمكن لأقدام بشرية أن تتسلقه أو تنزل على ذلك المنحدر الجنوبي ذو السطح الشبيه بالخنافس!

ارتفع الجرف شرقًا وشمالًا لمسافة آلاف الأقدام عموديًا من الماء، لذلك لم يبق إلا الجانب الغربي، والجانب الداخلي.

شرع "أولني" في ساعة مبكرة من صباح أحد أيام شهر أغسطس في العثور على طريق يقود لتلك القمة التي يتعذر الوصول إليها. ذهب في الإتجاه الشمال غربي على طول الطرق الخلفية الجذابة، مروراً ببحيرة "هوبر" ومصنع الطوب القديم، إلى حيث تتسلق المراعي العشبية اليانعة صاعدة التلال فوق نهر "ميسكاتونيك"، لتعطي منظراً جميلاً لأبراج "آرخام" البيضاء، عبر فراسخ من مياه النهر الزرقاء والمروج الخضراء.

هنا وجد طريقًا مظللًا يقود إلى "آرخام"، ولكن لم يكن هناك أي درب على الإطلاق في إتجاه البحر الذي تمنى

أن يجده.....

امتدت الغابات والحقول غزيرة حد الازدحام، حتى الضفة العالية لمصب النهر، ولم تحمل أي علامة تدل على وجود الإنسان؛ ولا حتى جدارًا حجريًا أو بقرة ضالة، لم يكن هناك غير العشب الطويل والأشجار العملاقة والنباتات المتشابكة، التي ربما رآها أول هندي سكن بالمكان.

وبينما كان يتسلق ببطء شرقًا، أعلى وأعلى فوق المصب الموجود على يساره، وأقرب وأقرب للبحر، وجد الطريق يزداد صعوبة، حتى تساءل كيف يتمكن سكان ذلك المكان غير المحبوب من الوصول إلى العالم الخارجي، وما إذا كانوا يأتون كثيرًا إلى السوق في "آرخام"، أو ما إذا كانوا يذهبون هناك من الأصل.

ثم تضاءلت الأشجار، وبعيدًا عن يمينه رأى التلال والأسقف العتيقة وأبراج مرفأ "كينج". حتى التل المركزي بدا قزمًا من هذا الإرتفاع، وكان بوسعه بالكاد أن يميز المقبرة القديمة الموجودة بجوار مستشفى التجمع، والتي قالت بعض الشائعات أن تحتها توجد بعض الكهوف أو المحور الرهيبة!

أما في المقدمة، فقد تناثرت الحشائش هنا وهناك، وقد انتصبت بعض شجيرات التوت وسطها، ومن وراءهم انتصبت صخرة عارية من الجرف، وقمة المنزل الريفي الرمادي اللعين!

الآن ضاقت التلال، وأصيب "أولني" بالدوار من وجوده

وحيدًا في السماء.

ظهر المنحدر المخيف الذي يعتلي مرفأ "كينج" إلى الجنوب، أما جهة الشمال، فكان بها الإنخفاض الرأسي الذي يمتد لمسافة ميل تقريباً حتي يصل إلى مصب النهر فيختفي داخله.

وفجأة انفتحت هوة كبيرة أمامه بعمق عشرة أقدام، فاضطر إلى الزحف على يديه، والنزول إلى الأرضية المائلة، ثم زحف بشجاعة على المنحدر الصاعد إلى أعلى.

إذن فهذه هي الطريقة التي يسير بها ساكن - أو سكان - ذلك البيت الغريب بين الأرض والسماء!

عندما قفز من الهوة كان ضباب الصباح يتجمع، لكنه رأى بوضوح الكوخ العتيق الذي لا يتزعزع أمامه؛ بجدرانه الرمادية مثل الصخر، وسقفه العالي الذي انتصب بجرأة وسط مساحة بيضاء كاللبن من أبخرة البحر، وقد أدرك أنه لا يوجد باب على هذا الطرف الذي يواجه اليابسة، وإنما عدد قليل من النوافذ الصغيرة ذات أطر معدنية على شكل عين الثور، وهو طراز ينتمي للقرن السابع عشر.

انتشرت الغيوم والفوضى في كل مكان من حوله، ولم يستطع رؤية أي شيء أسفل منه سوى بياض الفضاء اللامحدود.

شعر أنه وحيدًا في السماء مع هذا المنزل الغريب المقبض؛ وعندما انحرف إلى مدخل البيت ورأى أن جداره يقف على حافة الجرف، بحيث لا يمكن الوصول

إلى الباب الضيق الوحيد إلا عبر الهواء نفسه، شعر برعب واضح لا يمكن أن يكون سببه هو الإرتفاع الشاهق للمكان!

وكان من الغريب جدا أن سقفًا قديمًا متهاويًا لتلك الدرجة لا يزال قائمًا متماسكًا مكانه، كما كان غريبًا أن مثل هذا الطوب المحطم لا يزال بوسعه أن يتجمع فيتحد ليُشكِل مثل تلك المدخنة الصلبة المنتصبة في تحدي للزمن.

مع تكاثف الضباب، تسلل "أولني" نحو النوافذ الموجودة على الجوانب الشمالية والغربية والجنوب، محاولًا فتحها، ولكنه وجدها كلها مغلقة. شعر بسعادة غامضة تجتاحه لأنهم مغلقين، لأنه كلما رأى جزءًا جديدًا من ذلك المنزل كلما قلت رغبته في الدخول. ثم أوقفه ذلك الصوت!

سمع صوت خشخشة قفل وانفتاح رتاج بِاب، وتبع ذلك صرير طويل كما لو كان باب ثقيل يُفتح ببطء وحذر. كان هذا يحدث في الجانب الآخر المواجه للمحيط، والذي لم يستطع رؤيته، حيث انفتحت البوابة الضيقة على مساحة فارغة تبلغ آلاف الأقدام وسط السماء الضبابية فوق الأمواج.

ثم تصاعد ذلك الصخب الثقيل والمتعمد من داخل الكوخ، وسمع "أولني" النوافذ تنفتح، أولًا على الجانب الشمالي المواجه له، ثم في الجانب الغربي بالقرب من الزاوية.

بعد ذلك انفتحت النوافذ الجنوبية، تحت الأفاريز المنخفضة الكبيرة على الجانب الذي وقف فيه، والواقع أنه شعر أنه غير مرتاح على الإطلاق بينما هو يفكر في وجود

المنزل البغيض من جانب ووجود الهواء الفارغ بالكامل من الجانب الآخر!

عندما سمع صوت خافت يصدر من وراء النوافذ القريبة منه، تسلل إلى الجانب الغربي مرة أخرى، لاصقًا نفسه بقدر ما يستطيع في الحائط بجانب النوافذ المفتوحة الآن.

كان من الواضح أن المالك قد عاد إلى المنزل؛ لكنه لم يأت من جهة الأرض، ولا من أي منطاد أو مركبة هوائية يمكن تخيلها!

ارتفع صوت الخطوات مرة أخرى، ودار "أولني" في إتجاه الشمال؛ ولكن قبل أن يجد ملاذاً، ناداه صوت بهدوء!

عرف أنه يجب أن يواجه مضيفه، الذي أطل عليه من النافذة الغربية، بوجهه الضخم ذو اللحية السوداء، بينما تألقت عيناه بشكل غير طبيعي، وقد بدا في هاتين العينان مبلغ ما شاهده صاحبهما من أشياء غريبة بهذا العالم، وربما من العوالم الأخرى.

لكن لو تغاضى "أولني" عن عينا الرجل المخيفتين، فقد كان صوته لطيفًا على غير المتوقع، وقد حمل لهجة عتيقة محببة، حتى أن "أولني" لم يرتجف عندما امتدت يد بنية لمساعدته أن يخطو فوق العتبة ليدخل تلك الغرفة منخفضة السقف ذات الجدران المصنوعة من خشب البلوط الأسود، وقد تناثرت في أرجائها مفروشات منحوتة عتيقة الطراز، وتماثيل برونزية، وشمعدانات فضية، فبدا البيت كأنه متخف لكل ما هو عتيق وغريب.

كان الرجل يرتدي ثيابًا قديمة جدًا، وكان لديه الكثير من الحكايات الغريبة عن البحر، وعن الفقمات، وعن المراكب التي لا تعود، وعن الصواعق التي تتردد بالسماء فتجيبها الرعود، وعن البحارة الذين يخرجون فلا يسمع بهم أحد ثانية حتى نهاية الكون.

لا يتذكر "أولني" الكثير من العجائب التي رواها الرجل على مسامعه، بل إنه لا يتذكر حتى ما قاله له الرجل عن نفسه، لكنه يتذكر أنه كان غريبًا ولطيفًا، ومليئًا بسحر معين لا يسبر غوره الزمان والمكان. بدت الغرفة الصغيرة خضراء ذات ضوء خافت، ورأى "أولني" أن النوافذ البعيدة بجهة الشرق لم تكن مفتوحة، وإنما مغلقة في وجه الضباب بألواح سميكة باهتة مثل قيعان الزجاجات القديمة.

بدا ذلك المضيف الملتحي شابًا، ومع ذلك فقد نظر نحو "أولني" بعيون غارقة في ألغاز عتيقة لا يمكن معرفة عمرها، ومن حكايات الأشياء القديمة الرائعة التي رواها، لا بد من تخمين أن أهل القرية كانوا على حق في قولهم إنه تواصل مع ضباب البحر وسحب السماء منذ أن كانت هناك أي قرية لمشاهدة مسكنه الهادئ من السهل بالأسفل.

مر اليوم، وما زال "أولني" يستمع إلى شائعات من العصور القديمة والأماكن البعيدة، وسمع كيف حارب ملوك أتلانتا الوثنيين الذين هربوا منهم عبر الشقوق الموجودة في أراضي المحيط، وكيف أن معبد إله البحر "بوسيدون" ذي الأعمدة والمغطى بالأعشاب لا يزال يلوح في منتصف الليل أمام السفن المفقودة، والتي يعرف

ركابها بمجرد رؤيته أنهم قد ضاعوا للأبد.

حكى له مضيفه الكثير عن سكان قارة أتلانتا، لكنه أصبح مقلًا في كلامه عندما انتقل بحديثه ليصبح عن العصر الأول القاتم للفوضى، قبل ولادة الآلهة أو حتى الكيانات القديمة، وعندما جاءت الآلهة الأخرى للرقص على قمة "هاثك كلا"Hatheg-Kla في الصحراء الصخرية بالقرب من "أولثار" Ulthar، وراء نهر "سكاي" Skai.

في تلك اللحظة ارتفع صوت طرقات على الباب!

كان مصدر الطرقات هو ذلك الباب القديم المصنوع من خشب البلوط المرصع بالمسامير، والذي لا يقع خلفه سوى هاوية من السحب البيضاء من غير سوء!

انتفض "أولني" خائفًا، لكن الرجل الملتحي أشار إليه بأن يظل ساكنًا، وتوجه على أطراف أصابعه نحو الباب لينظر من خلال ثقب صغير جدًا في الباب. ما رآه لم يعجبه، فضغط بأصابعه على شفتيه ودار على أركان المنزل كلها، وبأطراف أصابعه قام بإغلاق جميع النوافذ، قبل العودة إلى مكانه القديم بجانب ضيفه. ثم رأى "أولني" شيئًا يتحرك بالقرب من النوافذ الشفافة الصغيرة المعتمة. أخذ ظلًا داكنًا غريب الهيئة يتحرك هنا وهناك بفضول قبل أن يغادر؛ وقد شعر "أولني" بالسرور لأن مضيفه لم يستجب لتلك الطرقات. لم يبد أن هذا نوع الزائر الذي يحب المرء أن يجالسه بأي حال من الأحوال.

لابد أن هناك الكثير من الأشياء الغريبة التي تأتي من تلك الهاوية الضخمة، وعلى المرء أن يحرص على عدم

الإستجابة للكيانات الخاطئة أو مقابلتها.

ثم بدأت الظلال تتجمع!

ظهرت أولًا ظلال صغيرة خفية تحت الطاولة، ثم ظلالًا أخرى أكثر جرأة في الزوايا المكسوة بالألواح الخشبية الداكنة.

قام الرجل الملتحي بإيماءات غامضة كالصلاة، وأضاء شموعًا طويلة في شمعدانات نحاسية تمتلئ بنقوش غريبة.

كثيرًا ما كان الرجل ينظر إلى الباب كما لو كان يتوقع ظهور أحدهم، وبدا أن نظرته المطولة قد أُجيبت عندما ارتفعت قرعات متتالية بدت كأنها شفرة سرية ما. هذه المرة لم ينظر حتى من خلال الفتحة الصغيرة الموجودة في الباب، لكنه سحب رتاج خشبي ضخم، فانفتح الباب الثقيل كاشفًا مساحة شاسعة من النجوم والضباب الذي افترش ما وراء الباب كأنه سجادة كونية.

وبعد ذلك، على خلفية صوت منغم غامض المصدر، طفت داخل جنبات تلك الغرفة من الهاوية العميقة الموجودة بالخارج كل أحلام وذكريات الأرض الغارقة. وتلاعبت ألسنة اللهب الذهبية حول الأقفال المعدنية، وقد انذهل "أولني" بينما هو يرمقهم في رهبة وخوف.

ومن بين ما رآه من عجائب كان الإله "نبتون"، والذي وقف ممسكًا بشوكته الثلاثية، وقد اصطفت من حوله مجموعة من حوريات البحر الفاتنات، بأجسام رياضية ممشوقة، وعلى ظهور بعض الدلافين كانت هناك قوقعة ضخمة رقد داخلها الإله البدائي "نودين" Nodens - حاكم

تلك الهاوية العظيمة - بهيئته الرمادية الشنيعة.

وسرعان ما أطلقت الحراب التي أمسكتها بعض حوريات البحر بين أناملها أزيزًا غريبًا، أعقبته أضواء وشرارات انطلقت في كل حدب وصوب، بينما صدر عن باقي الحوريات أصواتًا غريبة أخرى عندما قرعن أصدافًا رنانة بشعة المنظر أتت من أعماق كهوف البحار السوداء التي لا تمسها الشمس ولا يطولها الهواء ولا تلقاها العيون.

ثم مد "نودين" يده الحذرة وساعد "أولني" ومضيفه في الوصول لصدفته الواسعة الغريبة، بينما انطلقت من المحار والأجراس من حولهم صخبًا عاليًا خلابًا. وخرجت تلك المجموعة الغير متجانسة للهواء المظلم بالخارج، فتلاشى صخبهم وسط أصداء الرعد التي رددتها السماء من جانب لآخر.

ظلوا يشاهدون ذلك الجرف المرتفع طيلة الليل في مرفأ "كينج"، عندما كانت العاصفة والضباب يسمحون لهم فيعطونهن لمحات مما يحدث بالأعلى، وعندما أظلمت النوافذ الصغيرة في أول ساعات من اليوم الجديد أخذوا يتهامسون برهبة وذعر. بينما انطلق أطفال "أولني" وزوجته الشجاعة بالصلاة إلى إله المعمدانيين الرحيم، متمنيين أن يستعير رفيقهم مظلة وحذاء مطاطي من أصحاب البيت الذي انطلق لزيارته، لو لم يتوقف المطر بحلول الصباح.

ثم أتى الفجر سابحًا وحيدًا وسط الظلام السرمدي، بينما تثاءب الضباب مستيقظًا ليخرج من البحر، في حين رن صوت العوامات المهيب وهي تتساقط نحو موجات

الضباب الكثيف الأبيض الذي حلق هنا وهناك.

وفي الظهيرة رنت أصوات أبواق الجن فوق المحيط، بينما نزل "أولني" - جاف الجسد وخفيف الحركة - من المنحدرات إلى مرفأ "كينج" العتيق وقد ارتسمت في عينيه نظرة من رأى الكثير والكثير!

لم يستطع أن يتذكر ما كان يحلم به في ذلك الكوخ الموجود وسط السماوات، والذي يملكه ذاك الناسك الذي لا يزال لا يعرف إسمه، أو أن يقول كيف نزل على تلك الصخور التي لم تطأها أقدام أخرى. ولا يمكنه الحديث عن هذه الأمور على الإطلاق إلا مع الرجل العجوز الرهيب، الذي تمتم بعد ذلك بأشياء غريبة من بين ثنايا لحيته البيضاء الطويلة؛ شعر بأن الرجل الذي نزل من فوق هذه الصخور لم يكن هو نفس الرجل الذي صعد، وأنه في مكان ما تحت ذلك السقف الرمادي، أو وسط ذلك اللسان الممتد من الضباب الأبيض الشرير، بقيت الروح المفقودة لمن كان يُدعى "توماس أولني "، بقيت هناك فلم تنزل مرة أخرى لعالمنا!

ومنذ تلك الساعة، وعبر سنوات مملة من الكآبة والتعب، عمل "أولني" بجد، وأكل ونام، وتصرف كما يفعل أي مواطن صالح.

لم يعد يتوق إلى سحر التلال البعيدة، أو يتنهد بحثًا عن الأسرار التي تتخفى كالشعاب الخضراء التي تظهر من بحر غامض لا قاع له. لم يعد تشابه أيامه يضايقه، وصارت الأفكار المنظمة مناسبة بما يكفي لخياله.

ازدادت زوجته الطيبة بدانة، بينما ازداد أبنائه عمراً وصاروا أكثر رشاقة وفائدة، وكلما تطلب الأمر منه الإنتباه، ينجح دائمًا في رسم الإبتسامة الملائمة للموقف.

لم يعد هناك أي اضطراب في نظرته، وإذا سمع يومًا صوت أجراس مهيبة، أو أبواق جن بعيدة، فهو لا يسترجع أحلامه القديمة إلا بالمساء عندما يكون بمغرده.

لم ير مرفأ "كينج" مرة أخرى، لأن عائلته تكره منظر تلك المنازل القديمة الغريبة، واشتكوا من أن نظام الصرف الصحي بهم كان شديد السوء. لديهم الآن بيت أنيق من طابق واحد في أراضي "بريستول"، حيث لا يوجد برج صخري طويل، والجيران متحضرون وطبيعيون. ولكن في مرفأ "كينج" تتعدى الحكايات الغريبة الحدود، وحتى الرجل العجوز الرهيب اعترف بشيء لم يروه جده.

في الوقت الحالي عندما تجتاح الرياح الهواء صاخبة آتية من الشمال، متجاوزة المنزل القديم العالي الذي اتحد مع السماء، لتكسر أخيرًا ذلك الصمت المشؤوم المنذر بالسوء، الذي حل مع اللعنة التي خيمت على أكواخ مرفأ "كينج" البحرية.

حكى العجوز كذلك عن بعض الأصوات العالية المبهجة التي يتم سماعها وهي تغني هناك، وكذلك حكى عن الضحكات التي تطفح بسعادة تتجاوز ما يمكن أن تحتويه الأرض من سعادة..

يقولون أنه في المساء تكون النوافذ الصغيرة المنخفضة أكثر إشراقًا مما كانت عليه سابقًا، ويقولون أيضًا أن

الشفق غالبًا ما يمر بتلك البقعة بكامل قوته وبهاءه، لامعًا باللون الأزرق في الشمال، مع رؤى لعوالم متجمدة، بينما يكتسي كل من الصخر والكوخ بلون أسود وحشي في مواجهة ضوء اليوم الجديد الساطع. بينما يظهر ضباب الفجر الذي يكون أكثر سمكًا وقتها، ولم يكن البحارة متأكدين بالكامل ما إذا كان صوت الرنين المكتوم الذي تصاعد من إتجاه البحر هو رنين العوامات بالفعل.

والأسوأ من ذلك كله هو ذبول كل المخاوف القديمة في قلوب سكان مرفأ "كينج" من الشباب، الذين اعتادوا على سماع أصوات الرياح الشمالية الباهتة البعيدة ليلاً. إنهم يقسمون أنه لا يمكن لأي أذى أو ألم أن يسكنا ذلك البيت ذو السقف المرتفع، لأنه في الأصوات الجديدة يدق الفرح، ومعهم يرتفع رنين الضحكات والموسيقى.

لا يعرفون ما قد يجلبه ضباب البحر من حكايات إلى ذلك البيت المسكون في أقصى الشمال، لكنهم يتوقون لمعرفة أي أغراب يدقون على بابه عندما تكون الغيوم أكثر كثافة. ويخشى الآباء أن يأتي عليهم حينًا من الدهر يسعون فيه واحدًا بعد الآخر إلى تلك القمة الوحيدة، التي يتعذر الوصول إليها في السماء، ويتعلمون ما تخفيه من أسرار الزمن تحت السقف شديد الانحدار الذي يمتد ليصبح جزءًا من الصخور والنجوم والضباب، والمخاوف القديمة في مرفأ"كينج".

ولا شك في أن هؤلاء الشباب المغامرين سيعودون، لكنهم يعتقدون أنهم لو فعلوا فربما يختفي الضياء من أعينهم، والإرادة من قلوبهم. وهم لا يرغبون في أن

يسحب مرفأ "كينج" الجذاب بممرات تسلقه المتعرجة الغريبة، وأسقف بيوته العتيقة، قواهم وأرواحهم على مر السنين، بينما تزداد قوة الأصوات الضاحكة العالية التي تتصاعد من ذلك البيت المجهول الغريب، حيث يتوقف الضباب والأحلام ليستريحوا، في طريقهم من البحر الى السماوات العليا.

لا يرغبون في أن تغادر أرواح شبابهم المواقد اللطيفة والحانات ذات الأسقف المنحدرة في مرفأ "كينج" القديم، ولا يرغبون في ازدياد الضحك والغناء في ذلك المكان الصخري المرتفع.

لأنهم يعتقدون أنه كما جلبت الأصوات التي جاءت من هناك ضبابًا جديدًا من البحر وأنوارًا جديدة من الشمال، كذلك يقولون إن تلك الأصوات ستجلب المزيد من الضباب والمزيد من الأضواء، وربما حتى تُخرِج الآلهة القديمة (الذين يكتفون بالتلميح لوجودهم فقط همسًا، خوفًا من أن يسمعهم قسيس الكنيسة المتشدد صارم الملامح!) من الأعماق المظلمة ومن بلدة "كاداث" الرهيبة المجهولة المكان، وستجعل ذلك البيت الغريب الذي ينتصب وسط الضباب على تلك الصخرة الشريرة قريبًا جدًا من التلال والوديان الخضراء التي يقطنها الصيادين الهادئين البسطاء.

هم لا يرغبون في هذا، لأن الناس العاديين لا يرحبون بمثل تلك الأشياء الغريبة؛ وإلى جانب ذلك، غالبًا ما يتذكر الرجل العجوز الرهيب ما قاله "أولني" عن طرقات غريبة مقبضة يخافها الساكن الوحيد، وظهور هيئة داكنة وفضولية وسط الضباب من خلال تلك النوافذ الغريبة

الشفافة المشابهة لعيون الثيران المرصوصة بجوار بعضها البعض.

ترى من هو هذا الذي يظهر بهيأته فقط وسط الضباب، دون أن يتمكن من دخول البيت؟ ولماذا يهابه ساكن البيت لتلك الدرجة؟ والسؤال الأهم، لو حدث ودخل ذلك الكائن للبيت، فماذا ستكون النتيجة؟ أثار ذلك السؤال الأخير الرعدة في جسد العجوز، الذي لم يلبث أن طرحه جانبًا وهو يحاول أن يشغل عقله بشئ آخر، فلو ترك لعقله العنان في تلك المواضيع لجن!

هو رجل عجوز بعد كل شيء، ولم يعد باقيا له على ظهر تلك الأرض إلا بضع سنوات على أقصى تقدير، فلم يشغل باله بمثل تلك الأشياء المفزعة؟

وعلى كل حال، وبالرغم من كل هذه الأشياء، فإن الكيانات القديمة فقط هم من يقررون كل شيء؛ وهم من يتحكمون بكل ما يحدث، وفي الوقت نفسه، لا يزال ضباب الصباح يأتي من تلك القمة الوحيدة المنعزلة التي تعلو المنزل العتيق ذو السقف شديد الانحدار، ذلك المنزل الرمادي الغريب حيث لا يُرى أي شخص ولكن حينما يحل المساء يجلب معه قبسًا من الأضواء الخفية، بينما تتحاكى الرياح الشمالية عن أحلام غريبة، تمتلئ بالغناء العالي، الذي يتسلل آتيًا من الأعماق لينضم إلى مستقره وسط الغيوم، مليئة بأحلام المراعي الرطبة وكهوف لوياثان. وعندما تحلق الحكايات كثيفة قرب كهوف حوريات البحر، وتُنفخ القواقع في مدن الأعشاب البحرية لتطلق أنغامًا وحشية تم تعلمها من الكيانات

القديمة، ثم تتدفق الأبخرة المتلهفة إلى السماء محملة بالمعرفة؛ بينما يطل مرفأ "كينج" - الذي يتململ مكانه فوق في عدم راحة على المنحدرات الصغرى الكائنة أسفل تلك الصخرة الضخمة المعلقة - على مساحة بيضاء شاسعة غامضة هي الشئ الوحيد الذي يراه من المحيط، كما لو كانت حافة الجرف هي حافة كل الأرض، بينما الصوت الوحيد الذي يحلق بالمكان هو صوت دقات الأجراس المهيبة للعوامات التي تحلق بحرية وسط السحب والسماء.....

البيت المنبوذ

1

هناك مفارقة مضحكة في كل شيء، مهما كان ذلك الشئ مرعبا!

في بعض الأحيان تبرز تلك المفارقة بجلاء وسط الأحداث، بينما في أحيان أخرى تتوارى بخبث فتكون مجرد صدفة غير متوقعة تتعلق أكثر بالأشخاص والأماكن المرتبطين بالحدث نفسه. يتجلى هذا النوع الأخير من المفارقات بشكل رائع في حالة حدثت بمدينة "بروفيدانس" القديمة، حيث اعتاد كاتب الرعب الشهير "إدغار آلان بو" في أواخر الأربعينيات على الإقامة في كثير من الأحيان، أثناء محاولاته غير الناجحة لاستمالة الشاعرة الموهوبة السيدة "ويتمان".

كان "إدغار آلان بو" يتوقف بشكل عام في بيت "مانشن" في شارع "بينيفيت" - وهو ما كان يدعى قديما بإسم (نُزل "غولدن" للاحتفالات) الذي آوى تحت سقفه بعض المشاهير مثل "واشنطن"، و"جيفرسون" و"لافاييت" - وقد قادته مشيته المفضلة شمالًا بطول الشارع نفسه إلى منزل السيدة "ويتمان" وفناء كنيسة "سانت جون" المجاورة لجانب التل، والتى كانت شواهد قبورها الخفية التى تنتمى للقرن الثامن عشر تثير سحراً غريبًا بداخلي.

ها هي المفارقة التي أقصدها: أثناء تلك التمشية، والتي تكررت مرات عديدة، اضطر أعظم كتّاب العالم في مجال الرعب والإثارة إلى المرور بجوار منزل معين على الجانب

الشرقي، غير عارف أي رعب يدور وراء جدران ذلك البيت العتيق الذي ينتصب داخل الشارع؛ مبنى عتيق وقذر يطفو على التل الجانبي الصاعد فجأة، وقد امتدت أمامه ساحة كبيرة غير مشذبة من الحشائش التي يعود تاريخها إلى وقت كانت فيه المنطقة بلدا مفتوحا جزئيا.

لا يبدو أن "إدغار" قد كتب أو تحدث عن هذا، ولا يوجد أي دليل على أنه لاحظ ذلك حتى. ومع ذلك، فإن هذا المنزل، بالنسبة إلى شخصين معينين يمتلكان معلومات معينة عنه، يتفوق من منظور الرعب على أسوأ هواجس الكاتب العبقري وأكثرها شناعة، بالرغم من أنه كثيراً ما كان يمر به دون علم، ويقف بشكل صارخ أمام ذلك للبيت الذي يفوق كل ما بذلك العالم من بشاعة ورعب.

كان المنزل - ولا يزال - من النوع الذي يجذب انتباه الفضوليين. كان في الأصل عبارة عن مزرعة أو مبنى يشبه مزرعة، لهذا كان تصميمه يشابه تصميم البيوت المتوسطة بنيو إنجلاند في منتصف القرن الثامن عشر - السقف الفاخر المدبب، مع طابقين وعلية لا يسكنها أحد، ومدخل جورجي الطراز وألواح خشبية تكسو الجدران كما كانت العادة بذلك الوقت. كان البيت يواجه الجنوب، وقد واجهت النوافذ السفلية الموجودة بمؤخرة البيت التل المرتفع باتجاه الشرق، بينما مقدمة البيت تواجه الشارع.

كان مبنيًا منذ أكثر من قرن ونصف، وقد اتبعت أعمال تسوية وتقويم الطريق في تلك المنطقة الخاصة. تم وضع شارع "بينيفيت" - الذي كان يُسمى في البداية شارع "باك" ثم جرى تغيير إسمه في وقت ما - كحارة متعرجة بين

مقابر أول المستوطنين، ولم يتم رصفه إلا فيما بعد، عندما أتاح نقل الجثث إلى المدفن الشمالي تمديد الشارع وسط أراضي العائلة القديمة بشكل لائق.

كان الجدار الغربي في البداية يمتد على إرتفاع عشرين قدمًا فوق مرج منحدر من الطريق؛ لكن توسيع الشارع الذي حدث في وقت الثورة أدى إلى قطع معظم المساحة المتداخلة، وكشف الأساسات بحيث كان لا بد من بناء جدار سفلي من الطوب، مما أعطى القبو العميق باب يواجه الشارع، ونافذتين فوق الأرض.

عندما تم بناء الرصيف قبل قرن من الزمان، تمت إزالة آخر حيز فاصل؛ ولابد أن "إدغار آلان بو" لم ير أثناء تمشياته سوى إرتفاعًا هائلًا من الطوب الرمادي الباهت الذي يعلو الرصيف بارتفاع عشرة أقدام، يمتد بجوار الجزء الأكبر من المنزل ذي الألواح الخشبية العتيقة.

امتدت الأراضى التى تشبه المزرعة إلى الخلف بعمق شديد أعلى التل، تقريباً حتى شارع "ويتون". أما المساحة الواقعة جنوب المنزل، والمتاخمة لشارع "بينيفيت"، فقد كانت بالطبع أعلى بكثير من مستوى الرصيف الحالي، وتشكل شرفة يحدها جدار مرتفع من الحجر الرطب المغطى بالطحالب، التي اخترقها صفًا شديد الانحدار من الدرجات الضيقة التي تؤدي إلى الداخل بين الأراضي المنبسطة والمنطقة العليا من العشب البالي، وجدران الطوب، والحدائق المهملة، وأدوات الحدائق، وبعض المراوح المكسورة، والأعمدة المتعفنة، والنباتات المليئة بالديدان.

ما سمعته في شبابي عن ذلك المنزل المنبوذ هو أن بعض الناس قد ماتوا هناك منذ زمن طويل، بأعداد كبيرة بشكل مخيف. قيل لي أن هذه الوفيات الكثيرة والمريبة هي السبب في مغادرة الملاك الأصليين للمكان بعد حوالي عشرين عاما من بناءه وسكناه.

كان من الواضح أن المكان غير صحي، ربما بسبب الرطوبة والنمو الفطري في القبو، أو رائحة المرض التي تفوح منه، أو ربما بسبب جودة مياه البئر ومضخة المياه.

كل هذه الأشياء سيئة بما فيه الكفاية، وكانت هي أكثر الأشياء التى تداولها الناس - خصوصًا الأشخاص الذين أعرفهم - عن كونها السبب في كل ما حدث بين جدران ذلك المنزل المشؤوم!

فقط دفاتر عمي خبير الأثريات، الدكتور "إليهو ويبل"، كشفت لي بإسهاب بعض الإشاعات الأكثر قتامة وغموضًا، والتى شكلت تيارًا خفيًا من الفولكلور فيما بين الخدم القدامى والبسطاء؛ إشاعات لم يحدوها الحظ بأن تنتشر في الكثير من الأماكن، وتم نسيانها إلى حد كبير عندما نمت "بروفيدانس" لتصبح عاصمة ذات سكان جدد انتقلوا لها للتو.

والحقيقة الثابتة هي أن الجزء الراقي بالمجتمع لم ينظر إلى ذلك المنزل المقصود أبدًا على أنه "مسكون" بأي شكل. لم تكن هناك حكايات منتشرة عن قعقعة سلاسل أو تيارات هواء باردة تأتي من لا مكان، أو أضواء مطفأة أو ظهور وجوه صارخة مرعبة عند النافذة حتى....

قال المثرثرون منهم في بعض الأحيان إن المنزل كان "غير محظوظ"، لكن هذا هو أبعد ما ذهبوا إليه بخيالهم. ما كان لا جدال فيه حقًا هو أن نسبة مخيفة من الأشخاص ماتوا هناك؛ أو بشكل أدق، ماتوا هناك منذ زمن طويل للغاية، لأنه بعد بعض الأحداث الغريبة التي حدثت منذ أكثر من ستين عامًا، أصبح المبنى مهجورًا بسبب استحالة استئجاره.

هؤلاء الأشخاص لم يموتوا فجأة بسبب واضح صريح؛ بل بدا أن حيويتهم قد استُنزفت تدريجيًا بشكل خادع، بحيث مات كل واحد منهم في وقت مبكر من مرض عادي قد يكون لديه بشكل طبيعي طيلة عمره!

أما أولئك الذين كانوا سعداء الحظ بما يكفي لكي يفلتوا من بين براثن الموت، فأخشى أنهم لم يكونوا حسنوا الحظ بما يكفي طيلة الطريق، لأنهم أظهروا درجات متفاوتة نوعًا من فقر الدم أو التعب، وأحيانًا تراجع في القدرات العقلية نفسها، وهو الأمر الذي يسيء إلى سلامة البناء.

يجب أن نضيف أن المنازل المجاورة بدت خالية تمامًا من تلك المشاكل. هذا ما كنت أعرفه كثيرًا قبل أن يدفع استجوابي المُلح عمي إلى إطلاعي على دفتر الملاحظات الخاص به.

وهو ما دفعنا اخيرا للقيام بتحقيقنا البغيض!

كان ذلك المنزل المنبوذ خاليًا أثناء طفولتي، وقد أحاطت به أشجار داكنة عتيقة قاحلة، وعشب طويل شاحب، وحشائش مشوهة غطت الفناء الغريب المنظر، الذي لم

تحاول الطيور أن تنزل فيه أبدًا.

اعتدنا نحن الأولاد على اجتياح المكان لنلعب فيه، وما زلت أتذكر رعبي أثناء تلك الفترة، ليس فقط بسبب الغرابة المرضية لهذه النباتات المريبة، ولكن أيضًا بسبب الجو الكريه المخيم على الحديقة ورائحة المنزل المتهدم، الذي كان بابه الأمامي مفتوحًا غالبًا ما يتم الدخول إليه بحثًا عن الرعب والمغامرة.

كانت معظم النوافذ صغيرة الألواح مكسورة، وقد حلق هواء راكد عطن منها داخلًا وخارجًا، ليمر من فوق الألواح البالية غير المستقرة التي صنعت أطر النوافذ.

كانت لمصاريع النوافذ الداخلية المهتزة صوت صرير مزعج مثير للأعصاب، لا يفوقه إلا منظر ورق الحائط المتقشر المرعب. أما الجص المتساقط، والسلالم المتهالكة، فلم يكن يليق بها إلا منظر شظايا الأثاث المتآكلة التي لا تزال باقية. لابد أن عمر ذلك الأثاث يمتد لعشرات السنين، لدرجة أن بعض تلك القطع كان من المستحيل معرفة هويتها من فرط غرابة مظهرها....

أضاف الغبار وأنسجة العنكبوت الرمادية لمسة من الخوف على كل شيء، هذا لو تغاضينا عن الحشرات التي تراها هنا وهناك في كل مكان ممكن. وكان الأمر يتطلب شجاعة لا حد لها لكي يقوم الصبي منا بصعود السلم إلى العلية بكامل إرادته، التي كست جدرانها العوارض الخشبية الواسعة، التي لا يضيئها إلا بضعة نوافذ صغيرة وامضة في نهايات الجملونات، وكانت تلك العلية مليئة بحطام جماعي من الصناديق والكراسي وعجلات الغزل التي

مرت بها سنوات لا حصر لها من التخزين. في الظلام كانت تلك العلية تبدو مخزنًا ينتمي للجحيم، مليئًا بكل شيء غريب وعجيب، لدرجة أننا كنا نتوقع ظهور الشيطان نفسه في أي لحظة أثناء مغامراتنا الصبيانية هذه.

لكن بعد كل شيء، لم تكن تلك العلية هي الجزء الأكثر فظاعة من المنزل، بل كانت تلك المرتبة محفوظة بكل قوة للقبو الرطب المقبض، الذي تسبب بطريقة ما في أشد النفور فينا، على الرغم من أنه كان بالكامل فوق الأرض في الجانب المواجه للشارع، وكان له باب رفيع وجدار من الطوب - أطلت منه بعض النوافذ الصغيرة التى بدت كالعيون المتطفلة - يفصله عن الرصيف المزدحم. بالكاد عرفنا ما إذا كنا يجدر بنا أن نعتبره بيتًا مسكونًا فنفتشه، أم نعتبره بيتًا ملعونًا فنتجنبه! كل شيء بدا غريبًا بالقبو بالذات. كانت الرائحة الكريهة للمنزل تعلو لأقصى حد لها في ذلك القبو من ناحية. ومن ناحية أخرى، لم نرتح لنمو تلك الفطريات البيضاء التي تشبه إلى حد بعيد الغطاء النباتي في الفناء الخارجي.

بدت تلك الفطريات شنيعة المنظر كأنها عشرات من يرقات الضفادع التي لم أر مثلها في أي مكان آخر. لكم كان منظرها مقززًا باعثًا على الغثيان.

أما من كان يقودهم حظهم العثر للمرور بجوار البيت أثناء الليل فقد كانوا يتحدثون أحيانًا عن ما يشابه طقوس السحرة التي نتوهج خلف زجاج النوافذ المشروخ.

لم نقم بزيارة هذا القبو ليلًا - مهما بلغت الرغبة في التحدي داخلنا - ولكن في بعض زياراتنا النهارية للمكان

كان بوسعنا ملاحظة بعض الأنوار الغريبة التي تلتمع هنا وهناك، خاصةً عندما يكون نهارًا رطبًا مليئًا بالضباب.

بالإضافة إلى أننا لاحظنا شيئًا آخر غريبًا. غالبًا هو مجرد وهم، لكنه بدا كشكل أبيض اللون فوجئنا بوجوده على الأرضية الترابية - بدا كرواسب غامضة ذات شكل غريب لا ينفك يتغير، ويبدو نوعًا من العفن. أتراه إمتداد لتلك الفطريات التي تنمو قرب المدفأة الحجرية الضخمة بالمطبخ الموجود بالطابق الأرضي؟

أكثر ما صدمنا بخصوص ذلك الشكل هو مدى تشابه حدوده الخارجية مع الشكل البشري، لكن بحجم مضاعف. بالرغم من أنها غالبًا لا تشابهه في الواقع وإنما تكفل خيالنا بجعلها تبدو كذلك، وغالبًا لم توجد تلك الترسبات البيضاء على الإطلاق!

ذات عصر ممطر، وقد بدا ذلك الوهم أشد من العادة، وكذلك تخيلت أني لمحت بخار أصفر اللون يتلألأ متصاعدًا من ذلك الشكل نحو المدفأة، أخبرت عمي بما لاحظته!

وقتها ابتسم عمي دون تعليق، لكنني لسبب ما شعرت أن ابتسامته هذه تخفي وراءها شيئًا، كأن ملحوظتي هذه قد ذكرته بشئ ما حدث بالماضي.....

عرفت فيما بعد أن ملحوظة مماثلة قد ورد ذكرها في بعض الحكايات القديمة التي يتداولها عامة الناس، والتي حكت عن أشكال وحوش وذئاب ترتسم وسط الدخان الخارج من المدفأة الضخمة، وكذلك حكت عن الأشكال الغريبة التي تتخذها جذور الأشجار التي تشق طريقها نحو

القبو في وقاحة، عبر حجارة البناء المتآكلة!

2

لم يفكر عمي في وضع مذكراته وكل تلك المعلومات في حوزتي إلا بعدما كبرت بالعمر بما يكفي. كانت تلك المذكرات كما سبق أن ذكرت تحتوي على الكثير من المعلومات عن ذلك البيت المنبوذ، وقد كان عمي د."ويبيل" رجلًا محافظًا رصينًا من الطراز القديم، ولم يكن يحب تشجيع الشباب على التفكير في البيت على أنه مسكون، وإنما كان يعتقد فقط أن بناؤه قد تم في ظروف غريبة وفي مكان غريب، لكن ليس معنى هذا بأي حال من الأحوال أنه مسكون.

لكنه سرعان ما أدرك أن منظر البيت الجذاب والمثير للخيال والذي كان أول ما جذب انتباهه للمكان كفيل بأن يثير خيال الصبيان ليعتقدوا أن البيت به شئ غير طبيعي.

كان عمى عازبًا، أبيض الشعر، حليق الرأس، وجنتلمان من الطراز القديم، وأحد موثقي التاريخ المهمين بالمكان في ذلك الوقت. وكان كثيرًا ما ينخرط في التحديات مع رعاة التقاليد العتيقة التي تثير الجدل مثل "سيدني رايدر" و"توماس بيكنيل".

كان عمي يعيش مع خادم واحد في منزله المبني على الطراز الجورجي ذا السلالم الأمامية، بدرابزين معدني، والذي يقع على منحدر حاد من شارع المحكمة الشمالية، بجوار المحكمة الحجرية القديمة ومنزل الجالية؛ حيث قام جده - إبن عم الجندي الشهير "ويبيل"، الذي أحرق سفينة

الملك المسلحة في عام ١٧٧٢ - بالتصويت في ٤ مايو ١٧٧٦ من أجل استقلال مجتمع "رود آيلاند".

كانت سجلات عائلته العتيقة موجودة في مكتبة خشبية صغيرة منحوتة موضوعة فوق المدفأة الحجرية في الغرفة ذات السقف المنخفض، والحوائط البيضاء، والنوافذ الصغيرة المغطاة ببعض القضبان المعدنية...

ومن بين تلك السجلات كانت هناك العديد من التلميحات المريبة عن ذلك البيت الغريب الموجود في شارع "بينيفيت".

تقع بقعة الآفات هذه على مسافة ليست بعيدة - لأن شارع "بينيفيت" يمتد بداية من مبنى المحكمة مباشرة على طول التلة شديدة الانحدار التي تسلقها المستوطنون الأوائل.

تسبب إلحاحي على عمي لمعرفة ما خفي عني من معلومات عن الموضوع في النهاية بأن يصبح أمامي سجلًا غريبًا بدرجة كبيرة.

كان سجلًا عتيقًا، وإحصائيًا إلى أشد درجة بوسع المرء تخيلها، وكئيب كما هو الحال في بعض النقاط المتعلقة بالموضوع، وعبر ذلك السجل امتد خيط مستمر من الرعب الشديد والكراهية الحارقة الذين أثارا دهشتي أكثر مما أثارا دهشة عمي العجوز. كلام كثير مقبض تم تدوينه بذلك السجل القديم، لدرجة أشعرتني في بعض الأوقات أنني أقرأ رواية مرعبة من تأليف "إدغار" ملك الرعب نفسه!

كانت هناك الكثير من الأحداث المنفصلة التي تناسبت

مع بعضها البعض بشكل غريب فبدت كقطع البازل التي تكون لوحة كاملة شنيعة، وكانت هناك كذلك بعض التفاصيل الأخرى التي بدت بلا صلة تربطها، وحملت الكثير من الإحتمالات البشعة التي جعلت القشعريرة بداخلي تتزايد. أمن الممكن أن يكون هناك بيت دارت بداخله كل تلك الأحداث البشعة؟

تصاعد بداخلي المزيد من الفضول الحارق، يفوق ما كان بداخلي قبلًا. وقد قادتني أول معلومات عرفتها عن البيت لعملية بحث طويلة محمومة انتهت بشكل مؤسف!

لأن عمي أصر في النهاية على الإنضمام لي في عملية البحث التي سأقوم بها، وبعد ليلة معينة في ذلك البيت لم يرحل معي.

صرت وحيدًا دون ذلك الرجل النبيل الذي لم يُعرف عنه طيلة حياته إلا الكرامة وحسن الخلق والشرف!

وضعت شاهدًا رخاميًا فى ذكراه فى ساحة كنيسة سانت "جون"، حيث تزاحمت شواهد القبور والمقابر بهدوء بين مبنى الكنيسة الضخم، والمنازل، وجدران البنك في شارع "بينيفيت" الطويل.

لم يكشف تاريخ ذلك البيت - بالرغم من متاهة الشوارع التي قمنا بتفتيشها - عن أي علاقة له بالشر، لا بخصوص إنشاءه ولا بخصوص العائلة النبيلة التي قامت ببنائه. لكن بمجرد ظهور أول بادرة لوصمة، سرعان ما ازدادت لتصبح رقعة قبيحة لا تنفك تتسع!

بدأت سجلات عمي الدقيقة التفاصيل بتناول بناء المكان

في عام ١٧٦٣، وتتبع المشهد بكامل تفاصيله، حتى التافهة منها.

يبدو أن أول ساكني هذا البيت المنبوذ كانوا "ويليام هاريس" وزوجته "روبي ديكستر"، مع أطفالهما الأربعة، "إيلكانا" المولودة في عام ١٧٥٥، و"أيجيل" التي وُلدت في ١٧٥٧، و"ويليام" الصغير والمولود عام ١٧٥٩، وكانت أصغرهم هي "روث"، وهي من مواليد ١٧٦١.

كان "ويليام" هذا تاجر مواد غذائية وأسماك في شركة الهند الغربية، وعلى إتصال ب"أوباديا براون" وأولاد أخيه. بعد وفاة "أوباديا" في عام ١٧٦١، آلت الشركة إلى "نيكولاس براون"، فصار "ويليام" هو صاحب البناء الحجري الذي كان يتمنى السكن فيه منذ زواجه.

اختار "ويليام" المكان بنفسه - وهو مكان تمت تسويته حديثًا من شارع "باك" الحديث والعصري، والذي كان يمتد بطول التل - وكان هذا هو كل ما يتمناه.

بدا البيت ملائمًا للمكان. كان أفضل ما بوسع إمكانياته المتوسطة أن تتحمله، وسارع "ويليام" بالانتقال إليه قبل مولد طفله - وكان ذكرًا - والذي وُلد ميتًا في ديسمبر!

ومن وقتها لم يولد طفلًا واحدًا حيًا بين جدران ذلك البيت طيلة قرن ونصف من الزمان!

وحينما حل شهر أبريل التالي تفشت عدوى شرسة بين الأطفال، وقد ماتت كل من "روث" و"أيجيل" قبل أن ينقضي الشهر!

قام د."جون إيفز" بتشخيص المشكلة على أنها نوع من

أنواع حمى الأطفال، بالرغم من أن هناك من زعموا أنها تبدو أشبه بمجرد مرض عضوي لقلة مناعة الطفلين.

وعلى أية حال، بدا أن الموضوع مُعدي، لأن إحدى الخادمات، وكانت تدعى "هانا بوين"، قد ماتت نتيجة إصابتها به في شهر يونيو التالي. أما "إيلي ليدياسون"، الخادم الآخر، فقد طفق يشتكي باستمرار من شعوره بالضعف، وكان ينتوي العودة لمزرعة والده في "ريهوبوت"، لكن بسبب ارتباطه ب"ميهيتابل بيرس"، وهي الفتاة التي تم جلبها لملأ مكان "هانا"، فقد قرر البقاء بالمكان، وقد مات الفتى بالعام التالي، وهو عام حزين للغاية، لأنه شهد موت "ويليام هاريس" نفسه، والذي أصيب بالضعف جراء جو جزر "مارتينيك"، حيث أبقته وظيفته لفترة من الزمن أثناء القرن الماضي.

لم تتعاف أرملته "روبي ديكستر" من صدمة وفاته أبدًا، وكانت وفاة "إيلكانا" - أول مواليدها - بعد عامين هي القشة التي قسمت ظهر قواها العقلية بالكامل!

أصيبت "روبي ديكستر" في عام ١٧٦٨ بانهيار عصبي عنيف، وتم إيداعها بالجزء العلوي من البيت، بينما قامت أختها الكبرى المدعوة "ميرسي ديكستر" بالانتقال للبيت لتتولى زمام الأمور.

كانت "ميرسي" هذه إمرأة عفية ذات قوة وبأس، لكن صحتها لم تكن على نفس المستوى من القوة، وقد انحدرت صحتها بشكل ملحوظ منذ انتقلت للمكان.

كانت "ميرسي" قد كرست نفسها بالكامل لخدمة أختها

منكودة الحظ، وكانت تحمل عاطفة شديدة تجاه إبن أختها الوحيد المتبقي، وهو "ويليام"، والذي تحول من طفل شقي وافر الصحة ليصبح شابًا سقيمًا واهن القوى.

وفي ذلك العام توفت الخادمة "ميهيتابيل"، ورحل الخادم الآخر المحترم "سميث" دون تفسير، أو على الأقل لا تفسير غير بعض الحكايات الغريبة، وشكوى من كراهيته لرائحة المكان.

وعندها لم يصبح بوسع "ميرسي" طلب المساعدة من أحد، بسبب حدوث سبعة وفيات وحالة جنون داخل جدران ذلك البيت في غضون خمس سنوات فقط!

لكنها على أية حال جاهدت للقضاء على تلك الخرافات - من وجهة نظرها - وبالنهاية تمكنت من استجلاب خدم جديدين من خارج البلدة، وهما "آن وايت"، وهي إمرأة حادة الطباع من ذلك المكان في شمال "كينجستون"، والذي يُدعى الآن بلدة "إكسيتير"، وكان الخادم الثاني رجلًا قديرًا من "بوسطن" ويدعى "زيناس لو".

وكانت "آن وايت" هذه هي أول من أعطى وصفًا دقيقًا وشكلًا واضحًا للكلام الفارغ الذي تم تداوله فيما بعد عن الشر المستفحل بالمكان!

المفترض أن "ميرسي" كانت أذكى من أن تقوم بتوظيف أحد من بلدة تل "نووزيتيك"، فتلك البلدة المعزولة منذ ذلك الوقت وحتى الآن تمتلئ بالكثيرين ممن يؤمنون بالخرافات بشدة.

بعام ١٨٩٢ قام ساكني تلك البلدة بحرق جسد ميت، وحرق قلبه في حفل رسمي، إعتقاداً منهم أن هذا ضروري لمنع زيارات الميت المزعومة، الضارة للصحة العامة، فتخيلوا وجهة نظر أسلافهم بعام ١٧٦٨.

كانت "آن وايت" هذه ثرثارة بشكل لا يصدق، وفي غضون بضعة أشهر قامت "ميرسي" بطردها لتجلب مكانها امرأة تقية من "نيو بورت" واسمها "ماريا روبنز".

وفي غضون تلك الفترة كانت "روبي هاريس" منكودة الحظ قد ساءت حالتها العقلية واستسلمت للهلاوس والكوابيس التي تمثلت لها.

في بعض الأوقات كانت صرخاتها لا تطاق!

ولفترات طويلة كانت "روبي" تصرخ بلا كلل في رعب كأنما يلتهمها أحدهم حية، مما دفع ابنها للانتقال بشكل مؤقت ليقيم مع إبن عمه "بيليج هاريس"، والذي يعيش في جادة "بريسبتريا"، بالقرب من مبنى الجامعة الجديد.

كان يبدو على الفتى التحسن في فترات الإقامة القصيرة تلك.

ولو أن"ميرسي" كانت ذكية بقدر ما كانت طيبة النية، لكانت تركت الفتى "ويليام" يقيم مع إبن عمه "بيليج هاريس" بصفة دائمة.

لكن ما كانت تصرخ به مدام "هاريس" لم يتم ذكره بشكل واضح في السجلات، أو كانوا يبالغون ويشطحون بخيالهم بشأن ما كانت تصرخ به بشدة، فيذكرون سخافات لا تعقل.

من ضمن تلك السخافات أن "روبي" كانت تصرخ لساعات طويلة في صوت أجش باللغة الفرنسية، بينما "روبي" هذه لم تتلق إلا قشور تلك اللغة طيلة فترة تعليمها، ومن ضمن تلك السخافات كذلك أن"روبي" – أثناء فترة حبسها داخل حجرة يجلس أمامها حارس – كانت دائمة الشكوى من أن هناك شيء ما يحدق فيها باستمرار!

وحينما حل عام ١٧٧٢ مات الخادم "زيناس لو"، وعندما سمعت مدام "هاريس" بالخبر انفجرت بالضحك بسعادة صادمة بدت غريبة عنها. أخذت تضحك بوحشية كأنها قطيع من الضباع.

بالعام التالي ماتت هي نفسها، وتمت موارتها الثرى في مقبرة بالشمال بجوار جثمان زوجها الراحل "ويليام".

وبعد الإضطرابات الكثيرة والمزعجة التي صاحبت المشاكل مع "بريطانيا" العظمى في ١٧٧٥، قام "ويليام هارِيس" – بالرغم من أن عمره وقتها لم يتعد ستة عشر عاماً، وبالرغم من ضعف بنيته الجسمانية – بالانضمام لقوة الجيش الخاصة بالمراقبة تحت قيادة اللواء "جرين".

ومنذ ذلك الوقت أخذت صحة "ويليام" تتحسن بشكل مطرد، وكذلك تحسنت مكانته الإجتماعية.

وحينما حل عام ١٧٨٠ التقى وتزوج من الآنسة "فيبي هيتفيلد"، وكان وقتها يعمل كنقيب في قوات "رود آيلاند" ب"نيو جيرسي"، تحت قيادة الكولونيل "آيجيل". كانت عروسه "فيبي" من بلدة "اليزابيث"، وقد جلبها "ويليام" معه ل"بروفيدانس" بعد تقاعده المشرف بالعام التالي.

لم تكن عودة الجندي للديار سعيدة. صحيح أن بيت العائلة كان في حالة جيدة، وقد تمت توسعة الشارع وتغير إسمه من شارع "باك" ليصبح شارع "بنيفيت"، لكن خالته "ميرسي ديكستر" التي كانت قوية الشخصية والجسد بالماضي قد انحدر حالها بشكل محزن ومريب، لتصبح مجرد ظل شاحب مثير للشفقة ذا صوت أجوف وبشرة شاحبة، وهي الصفات التي شاركتها فيها الخادمة الوحيدة الباقية "ماريا". بدا كأنما هناك عدوى ما مسيطرة على البيت، أو كأنما هناك ظل ما من الحزن خيم على سقف البيت، فانطلق ينهش أرواحهم وقواهم.

في خريف عام ١٧٨٢ أنجبت "فيبي هاريس" ابنة نزلت ميتة!

وفي الخامس عشر من مايو التالي ماتت "ميرسي ديكستر" بعد حياة طويلة باسلة مليئة بالكثير من الأحداث والصعوبات.

والآن وقد أدرك" ويليام هاريس" أخيرًا أن هناك شيء غير طبيعي في مسكنه هذا، فقد قرر تركه وغلقه للأبد! هذا المكان المرعب يستحق بكل جدارة أن يدخل مزبلة التاريخ ويتم نسيانه بالكامل كأنه لم يكن موجودًا يومًا.

حجز "ويليام" لنفسه ولزوجته جناحًا في حانة "الاحتفالات الذهبية" الفاخرة التي جرى افتتاحها بالبلدة حديثًا، وخطط للحصول على بيت أحدث وأفضل في شارع "ويست مينيستر"، في الجزء النامي من البلدة أمام الجسر الحديث الضخم.

وهناك، في عام ١٧٨٥ وُلد إبنه "دوتي"، وهناك قطنت العائلة حتى أعادتهم المتاعب الإقتصادية عبر النهر وفوق التل لشارع "آنجيل"، في المقاطعة الشرقية التي تم تشييدها حديثًا، حيث قام "آرتشر هاريس" الراحل ببناء بيته الفاخر ذو الذوق الشنيع والسقف الفرنسي في ١٨٧٦.

أصيب كل من "ويليام" و"فيبي" بنوبات من الحمى الصفراء في وقت تفشى الوباء بعام ١٧٩٧، لكن "دوتي" انتقل ليقيم مع إبن عمه "راثبون هاريس"، إبن "بيليج"....

وقد كان "راثبون" رجلًا عمليًا، وقام بتأجير بيت شارع "بينيفيت" على عكس رغبة "ويليام" الذي أراد أن يبقيه فارغًا، فقد اعتبر "راثبون" هذا التزامًا منه، أن يقوم بالحصول على أفضل إستثمار من تركة الفتى.....

ولم يقلق نفسه بموضوع الوفيات والأمراض التي تسببت في الكثير من التغييرات في المقيمين بالمكان، ولا ضايق نفسه بالاشاعات المرعبة التى أخذت تتزايد باستمرار بخصوص البيت.

على الأرجح هو لم يشعر إلا بالغضب عندما أمره مجلس البلدة في عام ١٨٠٤ بتطهير البيت بالكبريت والقطران والكافور، بسبب حالات الوفاة الأربع التي حدثت وتم تناولها بالحديث كثيرًا، وساد الإعتقاد أنها بسبب وباء الحمى الذي كان في سبيله للاختفاء.

قالوا أن المكان له رائحة كريهة.

"دوتي" نفسه فكر لبعض الوقت في البيت، فعندما كبر بالسن صار جنديًا وخدم بشجاعة في الجيش تحت قيادة

النقيب "كاهوون" في حرب عام ١٨١٢

عاد دون أن يطوله أي أذى وتزوج في عام ١٨١٤ وصار والدًا في تلك الليلة الجديرة بالذكرى من ٢٣ مارس ١٨١٥، عندما هبت ريح شديدة قذفت بمياه الخليج فوق نصف البلدة، وسبحت لمسافة كبيرة من شارع "ويستمينيستر" لدرجة أن رذاذها طرق نوافذ بيت "هاريس" في تأكيد رمزي لكون الطفل الجديد "ويلكام" إبنًا للبحر!

لم يعش "ويلكام" حياة طويلة مثل والده، لكنه عاش حياة مديدة انتهت بشرف في "فريدريكسبيرج" بعام ١٨٦٢. لا هو ولا إبنه "آرتشر" عرفوا عن البيت المنبوذ ما هو أكثر من كونه بيتًا مشؤومًا لا يرغب أحد في استئجاره، غالبًا بسبب رائحته الكريهة والفطريات التي تنمو فيه بحرية. والشيء الأكيد أنه لم يقم أحد باستئجاره فعلًا بعد سلسلة الوفيات التي بلغت ذروتها في عام ١٨٦١، والتي تسببت الإثارة التابعة للحرب في رميها طي النسيان.

لم يعرف "كارينجتون هاريس" - وهو آخر نسل ذكر للعائلة - ذلك البيت إلا بصفته مكانًا مهجورًا تدور حوله الكثير من الأساطير حتى أخبرته بتجاربي. رغب في القيام بهده بالكامل وأن يبني مكانه عمارة سكنية، لكن بعدما أخبرته بما لدي من معلومات قرر تركه مكانه، وتدعيمه بالرصاص، وتأجيره.. لم يواجه الكثير من الصعوبات في جلب مستأجرين. يبدو أن الرعب المصاحب للمكان قد انتهى.

3

بوسعكم تخيل مدى تأثري بسجلات آل "هاريس". في هذا السجل المتواصل، بدا لي ما يتم حكيه شرًا مستطيرًا يفوق أي شيء أعرفه. شر متعلق بالبيت نفسه كما هو واضح وليس متعلقًا بالعائلة نفسها.

وما أكد هذا الانطباع لدي هو ما كان عمي قد جمعه من المعلومات المختلفة، والأساطير التي تتناقلها إشاعات الخدم، وبعض الأخبار المقصوصة من الجرائد، ونسخ من شهادات الوفيات من أصدقائه من الأطباء، وما شابه.

لا يمكنني أن أفشي مثل تلك المعلومات، لأن عمي كان مسجلًا تاريخيًا لا يكل ولا يتعب وكان شديد الإهتمام بالبيت المنبوذ، لكن ربما يمكنني أن أشير إلى عدة نقاط قوية تستأهل الاهتمام بسبب تكرار ذكرها في أكثر من تقرير من أكثر من مصدر.

على سبيل المثال، كانت إشاعات الخدم مجتمعة فيما يتعلق بالعلاقة بين الفطريات والقبو الكريه الرائحة، والشر المستطير المسيطر على المكان. كان هناك بعض الخدم - "آن وايت" بالذات - ممن أصروا على عدم إستخدام مطبخ الطابق السفلي على الإطلاق، وهناك ثلاثة قصص كاملة التفاصيل تحكي عن أشكال شبه بشرية - أو شيطانية في حكايات أخرى - تتخذها جذور الأشجار، وظهور لطخات من العفن في تلك الأماكن. هذه الحكايات الأخيرة أثارت انتباهي بشدة، لأنها تتوافق مع ما رأيته أثناء طفولتي، لكنني شعرت أن الكثير من الإضافات

التي تمت زيادتها - والتي شوشت على أحداث الحكايات الأصلية - قد تم استيحائها من حكايات الأشباح المحلية.

نشرت "آن وايت" - بخلفيتها الثقافية المليئة بالخرافات والآنتية من "إكسيتير" - أكثر تلك الحكايات جموحًا وأكثرها تماسكًا في نفس الوقت:

افترضت أنه ولابد هناك من يرقد تحت البيت (مصاص دماء غالبًا)، أي أنه ينتمي لأولئك الموتى الذي يستعيدون أشكالهم الجسدية ويتغذون على دماء وأنفاس الأحياء، والذين تقوم جيوشهم الشنيعة بإرسال أتباعهم وشياطينهم أثناء الليل.

لتدمير مصاص الدماء هذا لابد من أن - على حد قول الجدات - حرق جسده وحرق قلبه، أو على الأقل غرس وتد في قلبه، وقد كان إصرار "آن وايت" المريب على نقطة البحث في القبو هو النقطة الفاصلة التي عجلت بطردها من الخدمة.

لكن حكاياتها على أية حال اجتذبت شريحة واسعة من الجمهور، وكانت أكثر الحكايات قبولًا، لأن البيت ينتصب على أرض كانت تُستخدم قديمًا لدفن الموتى!

وفي نظري، لم يكن مصدر إهتمام الناس بسبب ذلك بقدر ما كان بسبب توافقها مع شكوى الخادم المستقيل، المحترم "سميث"، والذي سبق وجوده بالبيت مجئ "آن" بفترة، ولم يسمع بها أبدًا من الأصل، وقد أفادت شهادته أن "شئ ما قد كتم أنفاسه" أثناء الليل، بالإضافة إلى شهادات الوفيات لضحايا الحمى في عام ١٨٠٤ والتي

أشرف على إصدارها الطبيب الموقر د."تشاد هوبكينز"، والتي تتعلق بالأربع أشخاص المتوفين، وكانت أجسادهم كلهم خالية من الدماء، والشكاوي الغامضة المخيفة، والخاصة بالمسكينة "روبي هاريس"، حيث أخذت تشتكي من كيان نصف مرئي ذا عيون زجاجية وأسنان حادة!

بالرغم من أنني لم أكن أؤمن بالخرافات، إلا أن إجتماع كل تلك النقاط سويًا بعث شعورًا غريبًا بداخلي، زاد من حدته عدة أخبار مقصوصة من عدة جرائد مختلفة تمامًا، وكانوا يتناولان موضوع الوفيات التي حدثت بين جدران البيت المنبوذ - خبر منهم كان من جريدة "بروفيدانس جازيت"، والآخر كان من "كونتري جورنال" في ١٢ أبريل ١٨١٥، والآخر من جريدة "النسخة اليومية" بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٤٥ - وكان كل واحد منهم يتناول ظرفًا مروّعًا بشكل شديد، زاد من شناعته تكرار ذكره بأكثر من مرة، لكن مع تغير المتوفي في كل مرة. بأولى المرتين - وكانت في عام ١٨١٥ - كانت المتوفية سيدة عجوز لطيفة من عائلة "ستافورد"، وفي عام ١٨٤٥ كان مدرس مدرسة في منتصف العمر يدعى "إليزار دورفي"، والذي تم تشويه جثته بطريقة مروعة؛ وبدا جثمانه في شكل مثير للرعب، بنظراته الزجاجية، والتعبير المرعب الذي ارتسم على وجهه، كأنما هو على وشك أن يقفز ليلتهم حلق طبيب الذي حضر للمعاينة!

لكن الأمر الأكثر إثارة للحيرة هو الحالة الأخيرة التي وضعت حداً لاستئجار المنزل - وهي سلسلة من الوفيات الناجمة عن فقر الدم التي يسبقها جنون تدريجي، حيث

يحاول المريض ببراعة حصد أرواح أقاربه عن طريق شقوق في الرقبة أو الرسغ!

سمع عمي بالكثير من تلك الأخبار في عامي ١٨٦٠ و١٨٦١، عندما كان قد بدأ لتوه ممارسته الطبية. وقبل مغادرته للجبهة، وقد كان مصدرها الكثير من زملائه المحترفين.

كان الشيء الذي لا يمكن تفسيره حقًا هو الطريقة التي كان يثرثر بها أصحاب البيت - الذي تفوح منه رائحة كريهة ومنبوذ على نطاق واسع بين الجميع - والذين لم يتمكنوا من تأجيره للآخرين- بالفرنسية، وهي لغة لم يكن من الممكن أن يدرسوها بأي شكل من الأشكال.

تلك النقطة الأخيرة تجعل المرء يفكر في "روبي هاريس" البائسة قبل قرن من الزمان تقريبًا، وهو ما دفع عمي للتحقيق بالموضوع، لدرجة أنه بدأ في جمع البيانات التاريخية عن المنزل بعدما سمعه مباشرة من فم الطبيبين "تشيس" و"ويتمارش" في وقت ما بعد عودته من الحرب أخيرًا.

كان واضحًا بالنسبة لي أن عمي قد فكر بموضوع البيت كثيرًا، وأنه كان سعيدًا لاهتمامي أنا الآخر - مع ما أمثله بالنسبة له من منظور رجل ذو ذهن متفتح سيساعده على مناقشة الأمر بحيادية، بينما نفس الموضوع يمكن أن يثير ضحكات الآخرين منه، وهي النقطة التي لم تشجعه كثيرًا على مناقشة كل ما لديه من معلومات مع الآخرين.

لا أظن أن خيال عمي قد جمح بخصوص البيت مثلي،

لكن هذا لم يمنعه من الإعتقاد بأن هناك خواص غريبة لهذا البيت تثير الخيال وتستحق التدوين.

أما بالنسبة لي، فقد آليت على نفسي أن آخذ الموضوع بجدية شديدة، وبدأت على الفور في الكثير من الأشياء، ليس فقط بخصوص تفقد الأدلة، وإنما كذلك في جمع ما أستطيع منها. تحدثت مع "آرتشر هاريس" العجوز، ثم مع مالك البيت، لأكثر من مرة، قبل وفاته في ١٩١٦؛ وحصلت منه ومن أخته العجوز، والتي كانت لا تزال حية، والمدعوة "آليس"، تأكيدًا لكل ما جمعه عمي قبلًا من معلومات عن العائلة التى سكنت المنزل.

عندما سألتهم أي صلة قد تكون لدى ساكني البيت بفرنسا أو بلغتها، اعترفا كلاهما بأنهما يجهلان تلك اللغة بالكامل مثلي. لم يكن "آرتشر" يفهم كلمة واحدة منها، أما أخته، فكل ما كان بوسعها قوله هو أن جدها العجوز "دوتي هاريس" قد سمع بما قد يلقي بعض الضوء على الموضوع.

لم ينس رجل البحر العجوز، والذي تخطى بصعوبة صدمة وفاة إبنه "ويلكام" منذ سنتين - الأسطورة؛ لكنه يتذكر أن أولى ممرضاته، والمدعوة "ماريا روبنز"، قد بدت عالمة بشئ ربما يسلط بعض الضوء على هذيان "روبي هاريس" بالفرنسية، والتى سمعتها "ماريا" كثيرًا خلال الأيام الأخيرة لتلك المرأة منكودة الحظ.

كانت "ماريا" بالبيت المنبوذ منذ عام ١٧٦٦ وحتى رحيل العائلة في عام ١٧٨٣، وقد شهدت وفاة "ميرسي ديكستر".

ذات مرة لمحت للطفل "دوتي" بحدث غريب نوعًا ما قد وقع أثناء لحظات "ميرسي" الأخيرة، لكن "دوتي" سرعان ما نسيه بالكامل.

حتى الحفيدة تتذكر تلك الفترة بصعوبة.. لم تكن هي وأخيها شديدا الإهتمام بالبيت كما كان إبن "آرتشر" المدعو "كارينجتون" مهتمًا به، وهو صاحب البيت الحالي بالمناسبة، وقد تحدثت معه عن تجاربي مع الموضوع.

ولأنني شعرت أنني قد أتعبت آل "هاريس" - في محاولتي لأعرف ما لديهم - بما فيه الكفاية، فقد وجهت انتباهي لسجلات البلدة وما قد تظهره من تفاصيل أكثر مما ذكره عمي بسجلاته الشخصية.

ما كنت أبحث عنه هو سرد أكثر شمولية لتاريخ الموقع منذ إنشاءه في عام ١٦٣٦، أو ربما قبل هذا، لو أعثر - لو كان حظي جيدًا - على أية أسطورة هندية لتدعم معلوماتي.

عرفت بالبداية أن الأرض كانت جزءًا من ضيعة أكبر حجمًا مُنحت أصلاً ل"جون تروكمورتون"، وكان واحدًا من عدة قطع أملاك متماثلة تبدأ من شارع "البلدة" بجانب النهر وتمتد إلى أعلى التل حتى خط يكاد يكون متوازيًا مع شارع "الأمل" المُنشأ حديثًا.

ثم تم تقسيم ضيعة "تروكمورتون" طبعًا فيما بعد، وقد اجتهدت كثيرًا في تتبع ذلك القسم الذي تم من إنشاء شارع "باك" أو "بينيفيت" لاحقًا.

هناك شائعة تقول إنه كان مقبرة آل "تروكمورتون"، لكن

عندما قمت بتفقد السجلات بمزيد من الدقة، عرفت أن المقابر كانت قد انتقلت كلها في تاريخ مبكر لمقابر شمالية في طريق "باوتاكيت" الغربي.

ثم عثرت بالصدفة - لأن ذلك الجزء لم يرد ذكره في السجلات الأساسية وكان من السهل المرور عليه مرور الكرام - على شيء أثار فضولي الشديد، لأنه يتوافق مع العديد من الجمل الغريبة التي سمعتها.

كان سجلًا يعود لعام ١٦٩٧، وكان عبارة عن عقد إيجار لقطعة أرض صغيرة لرجل يُدعى "إتيان روليت" وزوجته. أخيرا ظهر عنصر فرنسي بالقصة!

وهناك عنصر آخر أكثر إثارة للرعب استحضره ذلك الإسم من بين الخبايا المظلمة لقرائاتي الكثيرة المتعددة، بل إنني قمت بدراسة تاريخ المكان كما كان قبل رصف شارع "باك" بين عامي ١٧٤٧ و١٧٥٨.

ووجدت ما كنت أتوقعه، أن المكان الذي يوجد به البيت المنبوذ الآن كان به مقابر آل "روليت"، وراء كوخ ذو دور واحد وعلية، وأنه لم يحدث أي نقل لمقابرهم!

انتهى ذلك السجل بشكل مُربك للغاية، أجبرني على نبش سجلات مستشفى "رود آيلاند" العتيق، ومكتبة "شيبلي"، قبل أن أعثر على عنوان بيت يحمل إسم "إتيان روليت".

بالنهاية عثرت على شئ شنيع غامض دفعني إلى الشروع في الحال في فحص قبو المنزل المنبوذ بدقة شديدة.

يبدو أن آل "روليت" قد أتوا عام ١٦٩٦ من

"جرينويتش" الشرقية، من مكان بجنوب شاطئ خليج "ناراجانسيت" الغربي.

كانوا بروتستانت فرنسيين من "كواد"، وكانوا شديدي المعارضة قبل أن يسمح لهم رجال "بروفيدانس" بالاستقرار في المدينة، وقد كانوا غير محبوبين من قِبل ساكني "جرينويتش" الشرقية، حيث أتوا في عام ١٦٨٦، بعد إلغاء مراسيم "نانيس"، وتقول الإشاعات أن جذور تلك الكراهية تمتد إلى ما هو أكثر من مجرد تحيزات عرقية أو قومية، أو عراك على الأرض التي تضمنت مستوطنون فرنسيون آخرين، وإنجليز في مزاحمة لم يتمكن العمدة نفسه - والمدعو "أندروس" - من إخمادها.

لكن مذهبهم البروتستانتي المتشدد - المتشدد للغاية على حد قول البعض - وضيقهم الواضح عندما طردوا فعلياً من البلدة لأسفل الخليج، قد أثار شفقة آباء البلدة.

هنا كان الغرباء قد ضمنوا حصولهم على ملاذ؛ وقد حصل "إتيان روليت" صاحب البشرة السمراء، والذي لا يجيد الزراعة مثلما يجيد قراءة الكتب الغريبة ورسم الرسوم البيانية، على وظيفة كتابية في مرفأ "تبلينجاست"، بعيداً في جنوب شارع "تاون".

لكن حدثت بعض أعمال شغب في وقت لاحق - ربما بعد أربعين سنة، بعد وفاة "روليت" العجوز - ولم يبد أن أحدهم قد سمع بتلك الأسرة بعد هذا.

لمدة قرن أو أكثر، كانت سمعة آل "روليت" جيدة وكثيراً ما ترد بالحديث، بصفتها حوادث ملحوظة مميزة في

حياة ميناء " نيو إنجلاند" البحري الهادئة.

تسبب نجل "إتيان" المدعو "بول" - وهو رجل عابس الملامح - بتصرفاته الغريبة على الأرجح في بعض أعمال الشغب التى مسحت جذور العائلة من المكان!

وكانت تلك النقطة مصدرًا للتأمل؛ وبالرغم من أن مدينة "بروفيدانس" لم تتشارك نفس الرعب والهلع من ممارسات السحر مثل جارتها "بورتتان"، إلا أن "بول" هذا قد تم ذكره على ألسنة بعض الزوجات العجائز، ومن ضمن ما ذكروه أن صلواته لم تكن تُذكر في الوقت المناسب، ولا كانت تتناول الموضوع المناسب حتى.

كل هذا شكل بما لا شك فيه قاعدة للأسطورة المعروفة ل"ماريا روبنز" العجوز. أما ما هي علاقة الأسطورة بهذيان "روبي هاريس" - والساكنين الآخرين للبيت المنبوذ - بالفرنسية، فهو أمر متروك للخيال أو للمستقبل لكي يحدده أحدهما.

تساءلت كم شخص ممن عرفوا تلك الأساطير قد لاحظوا ذلك الرابط الإضافي الرهيب والذي توصلت إليه بقرائاتي الواسعة:

تلك الصفحات المشؤومة التي تمتلئ بالرعب والهول والتي تحكى عن المخلوق المدعو "جاك روليت" من "كواد"، والذي تم الحكم عليه بالاعدام عقابًا على إرتكابه لجريمة قتل في عام ١٥٩٨، لكن تم إنقاذه فيما بعد من العقوبة بواسطة برلمان باريس، وتم ابقاءه في مستشفى المجانين!

تم العثور عليه مغطى بالدماء وبقايا اللحم في الغابة، بعد

فترة قصيرة من مقتل وتمزيق صبي على أيدي قطيع من الذئاب!

تمت رؤية أحد الذئاب ينسل مبتعدًا غير مضرور، وهي قصة مشوقة تليق بأن يتم حكيها بالقرب من المدفأة بأيام الشتاء، خصوصًا وأن الأسماء والمكان لهم مدلول غريب!

ولكنني قررت أن مروجي إشاعات "بروفيدانس" لا يمكن أن يكونوا قد سمعوا بهذا. فلو أنهم فعلوا، لتسببت صدفة تشابه الأسماء في بعض التصرفات الغريبة العنيفة والمرعبة!

ألا يمكن أن تكون تلك القصة بالرغم من محدودية انتشارها قد أدت بشكلٍ ما إلى آخر شغب تسبب في محو وجود آل "روليت" بالكامل من البلدة؟

صرت أزور ذلك المكان الملعون أكثر مما كنت أفعل من قبل، مدققًا النظر في الحشائش المهملة النامية بالحديقة، ومتفرسًا في كل جدران المبنى، وكل جزء من أرضية القبو.

بالنهاية وبعد الحصول على تصريح من "كارينجتون هاريس"، فتحت الباب الذي لا يستعمله أحد والذي يقود من القبو مباشرة لشارع "بينيفيت"، مفضلًا أن أحظى بمنفذ أسرع للعالم الخارجي غير ذلك الذي منحني إياه كلٍ من درجات السلم المظلمة، وبهو الطابق الأرضي، والباب الأمامي.

وهناك، حيث يتوارى الهول بأكثر كثافة له، أخذت أبحث هنا وهناك طيلة فترة العصر بينما ضوء الشمس

يتسلل عبر شِباك العنكبوت التي تغطي نوافذ الطابق الأرضي، وهناك بعض شعور الأمان بسبب وجود الباب المفتوح والذي يفصلني ببضعة أقدام فقط عن الممشى الهادئ بالخارج.

لم يظهر أي شيء جديد لكي يكافئ كل الجهود التي بذلتها في عملية البحث - فقط نفس العفونة الخانقة الباعثة للكآبة، والروائح المقرفة الباهتة التي تتصاعد من الأرضية - وأعتقد أن الكثيرين من المارة أخذوا يراقبوني بفضول عبر الألواح الزجاجية المشروخة.

أخيرا، وبناءً على إقتراح من عمي، قررت ملاحظة المكان بالليل، ومررت بعد منتصف ليلة عاصفة بمصباح كهربائي فوق الأرضية المغطاة بالعفن ذو الأشكال الغريبة والفطريات نصف المضيئة.

أشعرني المكان بالكآبة الشديدة تلك الليلة، وكنت مستعدًا عندما رأيت - أو ظننت أنني رأيت - بين الرواسب البيضاء شكل واضح صريح لشكل زحام متجمع، مثل ذلك الذي شككت في رؤيته وقت طفولتي وكان وضوحه مدهشًا ليس له مثيل.

وبينما أنا أنظر شعرت أنني أرى من جديد نفس خط البخار الأصفر الرفيع اللامع، والذي أفزعني ذلك العصر المطير منذ سنوات طويلة خلت؛ ففوق رقعة الفطر الموجودة بالقرب من المدفأة تصاعد بخار رقيق لزج يكاد يكون مضيئًا، وبينما هو يهتز وسط الرطوبة المخيمة على المكان بدا كأنما يتحور شكله بين عدة أشكال مقبضة، وسرعان ما تسلل هاربًا عبر السواد الذي يغطي المدخنة

الضخمة باعثًا رائحة نتنة من حوله.

كان شنيع المنظر وكان هذا بسبب ما أعرفه عن تلك الرقعة. رفضت أن أبتعد وأهرب وشاهدته وهو ينزوي ويبهت - وبينما أنا أشاهده شعرت أنه هو الآخر يشاهدني بفضول بعينين خياليتين!

عندما أخبرت عمي بهذا توتر للغاية؛ وبعد ساعة من التفكير المضطرب، وصل لقرار واضح وقوي. وازن أهمية الموضوع داخل عقله وخطورة علاقتنا به، وأصر على أن يقوم كلانا باختبار - ولو ممكن، تدمير! - رعب ذلك البيت بقضاء ليلة أو بضعة ليالي مستيقظين داخل القبو الملعون المغطى بالفطريات!

4

يوم الأربعاء ٢٥ يونيو، بعد إرسال رسالة مناسبة ل"كارينجتون هاريس"، دون أن نضمن فيها ما نتوقع أن نجده، أنزلنا أنا وعمي كرسيان من كراسي المخيمات، وفراش مخيمات، وبعض الأجهزة العلمية المعقدة الثقيلة الوزن، وقد وضعنا كل تلك الأشياء في القبو أثناء النهار، كما قمنا بلزق بعض الورق خلف زجاج النوافذ، منتوين العودة لقضاء مساء أول سهراتنا.

كنا قد أغلقنا باب القبو للذي يقود للدور الأرضي بمفتاح، وأخذنا معنا مفتاح الباب الخارجي للقبو، وقد صرنا مستعدين لترك جهازنا الغالي والدقيق - والذي حصلنا عليه سرًا وبتكلفة غالية الثمن - لعدة أيام كما قد تقتضي سهراتنا من فترة.

وكانت خطتنا أن نبقى سويًا حتى وقت متأخر للغاية، ثم سيراقب كل واحد منا حتى الفجر وحيدا، على مدار ساعتي مراقبة، بحيث تكون أول ساعتين من نصيبي ثم ثاني ساعتين من نصيب عمي. المهم أننا طيلة الليل سنظل نراقب ذلك الكيان الساكن الراقد على الأرض!

كنت مبهورًا من تصرف عمي، فالبرغم من أنه في الحادية والثمانون من عمره، إلا أنه تعامل مع الموضوع بحيوية ومرونة، فسعى إلى شراء تلك الأجهزة المعقدة السالفة الذكر من مختبرات جامعة "براون" أو من حانوت "كرانستون" لبيع الأسلحة.

عاش عمي "إليهو ويبيل" ذلك العمر المديد متبعًا كل

قواعد النظافة التي كان ينصح بها الناس كطبيب، ولكن ما حدث لاحقًا كان غريبًا....

شخصان فقط يشكّان فيما حدث - "كارينجتون هاريس" وأنا.

كان علي أن أخبر "هاريس" لأنه مالك المنزل ويستحق أن يعرف ما الذي يحدث فيه، ثم تحدثنا معه أيضًا قبل أن نقوم بعملية البحث نفسها؛ وشعرت بعد ذهاب عمي أنه سيفهمني ويساعدني في بعض التفسيرات الضرورية. وبعدما عرف شحب لونه، لكنه وافق على مساعدتي، وقرر أن استئجار المنزل سيكون الآن آمنًا.

لو قلت أننا لم نكن متوترين في تلك الليلة الممطرة المنتظرة لكنت أبالغ.

لم نكن، كما قلت مسبقًا، مؤمنين بتلك الخرافات الطفولية بأي شكل من الأشكال، لكن الدراسة العلمية والتفكير علمانا أن الكون المعروف ذي الأبعاد الثلاثة يضم العديد من الأشكال الأخرى الكثيرة من المادة والطاقة، والتي لا نعرف أي شيء عنها.

في هذه الحالة، أشارت الغالبية الساحقة من الأدلة - التي حصلنا عليها من العديد من المصادر الموثوقة - إلى الوجود الراسخ لقوى معينة ذات قوة عظمى، وبقدر ما يتعلق الأمر بوجهة النظر البشرية، فقد أشارت إلى وجود ورم خبيث قوي!

أن نقول إننا نؤمن بالفعل بمصاصي الدماء أو المستذئبين سيكون تعليقًا شديد اللامبالاة. بل يجب أن يقال إننا لم

نكن مستعدين لإنكار إمكانية حدوث بعض التغييرات غير المألوفة للقوة الحيوية؛ والتي نادرًا ما نتواجد في الفضاء ثلاثي الأبعاد نظرًا لارتباطه الأكثر حميمية بالوحدات المكانية الأخرى، ولكنه قريب بدرجة كافية من حدودنا، لتزويدنا ببعض الأحداث المتباعدة التي قد لا نطمع أبدًا في فهمها، بسبب الافتقار إلى وجهة النظر المناسبة.

باختصار، بدا لي ولعمي أن مجموعة لا جدال فيها من الحقائق تشير إلى وجود مستمر لشئ ما دائم المفعول في المنزل المنبوذ؛ يمكن عزوه إلى أحد المستوطنين الفرنسيين غير المحظوظين قبل قرنين من الزمان، ولا يزال ساري المفعول بطريقة غريبة غير مفهومة بقواعد العالم الذي ننتمي له.

كانت عائلة "روليت" تمتلك جاذبية غير طبيعية للأشياء الغريبة التي لا يملك باقي البشر إلا الشعور نحوها بالنفور والرعب! - كما يبدو من تاريخهم المسجل الذي يثبت ذلك.

لم تكن إذن أعمال الشغب التي شهدتها تلك السنوات السبعة عشر الماضية قد أدت إلى حدوث تغييرات معينة في عقول بعض المرضى منهم - لا سيما الشرير "بول روليت" - والذي نجا بشكل غامض من أن يصبح من ضمن الجثث التي قتلها ودفنها الغوغاء، واستمر في العمل في فضاء متعدد الأبعاد على طول خطوط القوة الأصلية التي تحددها الكراهية المحمومة للمجتمع المتعدي؟

لم يكن مثل هذا الشيء بالتأكيد مستحيلًا فيزيائيًا أو كيميائيًا مع ظهور علم جديد يتضمن نظريات النسبية

والعمل داخل الذرة.

قد يتخيل المرء بسهولة نواة غريبة لمادة ما، بشكل أو بدون، وقد تم إبقائها على قيد الحياة عن طريق بعض العمليات المعقدة التي لا يمكن أن يأمل في فهمها غير المختصون.

على أي حال، من الضروري إعتبار مثل هذا الوحش شيئًا شاذًا ودخيلًا، يُشكل استئصاله واجبًا أساسيًا على كل إنسان طبيعي يرغب في إستمرار ذلك العالم.

ما حيرنا هو جهلنا المطلق بالجانب الذي قد نواجهه من ذلك الشيء. لم يره أي شخص عاقل، ولم يشعر به سوى قلة من الناس. ربما يكون مجرد بعض الطاقة النقية – شكل أثيري وخارج عالم المادة – أو قد يكون شيئ مادي جزئيًا، فيكون كتلة غير معروفة، قادرة على التغيير - حسب الرغبة - إلى مختلف الأشكال، فتارة يصبح صلبًا، وأخرى يصبح سائلًا، وثالثة يصبح غازيًا.

كانت كل الأشياء المرتبطة بالموضوع، مثل تلك البقعة المجسمة من العفن على الأرض، وشكل البخار المصفر، وانحناء جذور الأشجار في بعض الحكايات القديمة، كلها توشي بتشابه بعيد يذكرنا بالشكل البشري؛ ولكن لا أحد يستطيع أن يقول بأي نوع من اليقين ما إذا كان هذا التشابه مجرد صدفة أم لا.

ابتكرنا سلاحين لمحاربته؛ أحدهما كان أنبوبة زجاجية تماثل أنبوبة "كروكس" لكن أكبر بالحجم، ومُجهزة خصيصًا، يتم تشغيلها بواسطة بطاريات تخزين قوية

ومزودة بشاشات وعاكسات خاصة، في حالة ثبوت أن الشئ غير ملموس ولا يصلح لمواجهته إلا إشعاعات الأثير المدمرة بقوة، وثاني السلاحين كان زوج من قاذفات اللهب العسكرية من النوع المستخدم في الحرب العالمية، في حال ثبت أنه شيئ مادي جزئيًا وقابل للتدمير، لأننا استعددنا – كما تحكي أساطير "إكسيتير" الخرافية - لإحراق قلب الشيء لو اتضح أن عنده قلب ليُحرق.

كل هذه الآليات العنيفة التي وضعناها في القبو في زوايا مرتبة بعناية بالنسبة إلى فراش المعسكرات والكراسي، وبالنسبة إلى البقعة التي أمام المدفأة حيث اتخذ الفطر أشكالًا غريبة.

بالمناسبة، صارت تلك البقعة مرئية بالكاد عندما وضعنا أثاثنا وأجهزتنا، وعندما عدنا في ذلك المساء من أجل سهرتنا المنتظرة، لدرجة أنني للحظة شككت في أنني قد رأيته من الأصل، لكنني سرعان ما تذكرت الأساطير.

بدأت سهرتنا في الساعة ١٠ مساءً بالتوقيت الصيفي، ومع استمرارها لم نجد أي وعد بتطورات ذات صلة بما نتوقع حدوثه.

مجرد وهج ضعيف من مصابيح الشوارع المليئة بالمطر بالخارج، وضوء لامع باهت من الفطريات البغيضة بالداخل، ليظهر الحجر المتساقط من الجدران، الذي اختفت منه كل آثار التبييض؛ والأرضية الصلبة الرطبة والملوثة بالعفن الفطري مع الفطريات القذرة؛ والبقايا المتعفنة لما كان عبارة عن مقاعد وكراسي وطاولات وأثاث آخر غير واضح المعالم؛ والألواح الثقيلة والعوارض الضخمة للطابق

الأرضي؛ والباب الخشبي البالي المؤدي إلى الصناديق والغرف الموجودة أسفل أجزاء أخرى من المنزل؛ والسلم الحجري المتهالك مع الدرابزين الخشبي المهدم؛ والمدفأة الغائرة البسيطة، والمصنوعة من الطوب الأسود، حيث كشفت شظايا من الحديد الصدئ عن الوجود السابق لخطافات، وعوارض معدنية، وأسياخ حديدية، وباب للفرن الهولندي - هذه الأشياء، وفراش المخيم المتواضع وكراسي المخيم، والآلات المدمرة الثقيلة والمعقدة التي جلبناها معنا.

تركنا باب الشارع مفتوحًا كما فعلت في محاولتي الاستكشافية السابقة، بحيث يكون هناك منفذ عملي للهروب في حالة ظهور ما يتجاوز قدرتنا على التعامل معه. كانت فكرتنا أن إستمرار وجودنا الليلي من شأنه أن يستدعي أي كيان خبيث كامن هناك؛ وبما أننا مستعدين بما يلزم من أسلحة، فيمكننا التخلص من الشيء بواحدة أو أخرى من الوسائل التي معنا بمجرد التعرف على كينونته ومراقبته بشكل كاف.

لم يكن لدينا أي فكرة عن كم من الوقت قد يتطلب الأمر لاستحضار الشيء وإخماده. لقد خطر ببالنا أيضًا أن مشروعنا لم يكن آمنًا بالنسبة لنا؛ لأنه لا يوجد من يعرف بأي قوة قد يظهر ذلك الشيء. لكننا اعتبرنا اللعبة تستحق المخاطرة، وشرعنا فيها بمفردنا وبدون تردد؛ مدركين أن طلب المساعدة الخارجية لن يؤدي إلا إلى السخرية منا وربما إفشال مهمتنا بالكامل!

كان هذا هو إطار تفكيرنا أثناء حديثنا - بينما ساعات

الليل تمر بنا، حتى جعلني نعاس عمي المتزايد أذكره بالاستلقاء قليلًا ليحظي بساعتي النوم الخاصين به.

شعرت بإحساس مشابه للخوف يقبض صدري عندما جلست هناك في تلك الساعات القليلة وحدي - أقول وحدي، لأن الشخص الذي يجلس بجانب النائم هو بالفعل وحيد. ربما وحيد أكثر مما يدرك!

تردد تنفس عمي الثقيل بالمكان، لا يقاطع صوت شهيقه وزفيره العميقين غير صوت هطول المطر في الخارج، أو ذلك الصوت المزعج الآخر للمياه المتساقطة البعيدة بداخل البيت - لأن المنزل كان رطبًا بشكل مثير للاشمئزاز حتى في الطقس الجاف، أما في مثل هذه العاصفة فيصبح كالمستنقعات.

تفرست في حجارة الجدران العتيقة في الضوء الخافت المتصاعد من الفطر، والأشعة الضعيفة التي تتسلل من الشارع عبر النوافذ المغطاة؛ وفجأة، عندما شعرت أن جو المكان المقبض على وشك أن يقودني للجنون، فتحت الباب ونظرت إلى أعلى وأسفل الشارع، غامرًا عيناي بمشاهده المألوفة وفتحات أنفي بهواءه الصحي.

لم يحدث شيء حتى الآن!

تثاءبت مرارًا وتكرارًا، وتعبي يتزايد فيفوق خوفي. ثم لفت انتباهي تقلب عمي في أثناء نومه، في رقدته على فراش المعسكرات ذاك. تقلب لعدة مرات خلال النصف الأخير من الساعة الأولى، لكنه صار الآن يتنفس بشكل غير منتظم، وشعرت أن صوت تنفسه يحمل بعضًا من أنين

الاختناق!

وجهت المصباح الكهربائي نحوه ووجدت وجهه مستديراً للجانب، نحو جهة الفراش الأخرى، وجهت الضوء لتلك الجهة لأرى ما إذا كان يعاني من أي ألم، وأثار ما رأيته استغرابي أكثر، نظراً لتفاهته النسبية.

لابد أنه لا يتعدى ارتباط ذلك الموقف الغريب بالطبيعة الشريرة لمكاننا ومهمتنا، لأن الموقف في حد ذاته لم يكن مخيفًا أو غير طبيعي. كان مجرد تغيير في التعبير المرتسم على وجه عمي، الذي بلا شك هاجمته الكثير من الأحلام الغريبة التي أثارها وضعنا، وبدا على صفحة وجهه الكثير من الانفعالات الغريبة عنه بالكامل. كان تعبيره المعتاد هو الهدوء واللطف، بينما بدت الآن مجموعة متنوعة من المشاعر تكافح فوق صفحة وجهه.

أعتقد أن هذه التعبيرات الغريبة هي أكثر ما أزعجني.

لم يبدُ عمي وهو يلهث ويتقلب في اضطراب متزايد - وقد بدأت عيناه تنفتحان - كأنه مجرد رجل واحد، بل بدا كمجموعة من الرجال، وبدا شديد الاغتراب عن حالته الطبيعية. بدأ في الحال بالهمهمة، ولم يعجبني مظهر فمه وأسنانه وهو يهمهم. كانت الكلمات في البداية غير قابلة للتمييز، ثم أدركت فجأة شيئًا ملأني بالخوف، فقد بدت شذرات الكلمات التي تمكنت من تمييزها كأنها تنتمي للغة الفرنسية!

وهنا تذكرت تعليم عمي المتبحر في العديد من المجلات، والترجمات الكثيرة التي قام بها من المقالات

الأنثروبولوجية والأثرية في جريدة Revue des Deux Mondes الفرنسية، فهدأت قليلًا!

كان يتمتم بالفرنسية، وكانت العبارات القليلة التي يمكنني تمييزها مرتبطة بأحلك الأساطير التي قام بكتابتها لتلك المجلة الباريسية الشهيرة. فجأة ظهر الكثير من العرق على جبهته، وانتصب فجأة نصف مستيقظ!

وهنا تغيرت همهماته الفرنسية لتتحول إلى صرخة باللغة الإنجليزية بصوت أجش:

-لا أستطيع التنفس!

ثم استيقظ عمي بالكامل، وبدأت تعبيرات وجهه تهدأ وتعود لطبيعتها، قبل أن يمسك بيدي وبدأ يحكي حلمًا أثار القشعريرة بداخلي.

قال إنه رأى نفسه وسط حلم عادي للغاية، قبل أن يجد نفسه فجأة وسط مشهد غريب لم ير أو يقرأ عن مكان يشبهه من قبل.

بدا كمكان ينتمي إلى هذا العالم، ومع ذلك فهو ليس منه. بدا كمكان مشوش غريب، ترى فيه عناصر مألوفة بشكل غير مألوف على الإطلاق؛ وقد ذابت كل حدود الزمان والمكان بالكامل بشكل غير منطقي، في سلسلة من الصور كأنه يتفرج على صندوق الدنيا العتيق!

في تلك الدوامة المتلألئة للصور الخيالية لقطات عرضية، إذا كان من الممكن إستخدام هذا المصطلح، وكانت تلك اللقطات المنفصلة شديدة الوضوح، ولكن غير مترابطة على الإطلاق.

ذات مرة رأى عمي نفسه كأنه يرقد في حفرة مفتوحة محفورة بإهمال، وقد اجتمع حشد من الوجوه الغاضبة ترتدي قبعات ثلاثية الزوايا تطل عليه. ثم شعر وكأنه داخل منزل – منزل قديم على ما يبدو – لكن التفاصيل والسكان طفقوا يتغيرون باستمرار، ولا يمكنه أبدًا التأكد من الوجوه أو الأثاث، أو حتى من الغرفة نفسها، نظرًا لأن الأبواب والنوافذ كانوا في حالة من التغير المستمر كما لو كانوا أغراضًا يتم نقلها من مكانها!

كان حلمًا غريبًا، وقد أخذ عمي يحكيه بخجل، كما لو أنه نصف يتوقع أنني لن أصدقه، عندما أعلن أن من بين تلك الوجوه الغريبة بعض الوجوه التي حملت الكثير من ملامح عائلة "هاريس" بشكل لا لبس فيه. وطوال الوقت كان يراوده إحساس بالاختناق كما لو أن هناك وجود ما قد ألقى بظلاله فوقه وانتشر في ثنايا جسده ساعيًا إلى السيطرة على جسده بالكامل!

ارتجفت من فكرة محاولة السيطرة على جسده تلك، جسده الذي أنهكه واحد وثمانون عامًا من العمليات الحيوية كل يوم وكل لحظة، في مواجهة قوى مجهولة يخشى منها أي جسد أصغر سنًا وأقوى بأسًا؛ لكن في لحظة أخرى تذكرت أن الأحلام لا تتعدى كونها مجرد أحلام، وأن هذه الرؤى المزعجة ليست أكثر من رد فعل عقلٍ عمي لتلك التحقيقات والتوقعات التي ملأت أذهاننا مؤخرًا.

سرعان ما بددت المحادثة التي دارت بيننا تلك الأحاسيس الغريبة داخلي، وبمرور الوقت استسلمت

لتثاؤبي وأخذت دوري في النوم. بدا عمي الآن مستيقظًا للغاية، ورحب بفترة مراقبته على الرغم من أن الكابوس قد أثاره خلال الساعتين المخصصتين له.

استولى عليّ النوم بسرعة، وسرعان ما هاجمتني الكثير من الأحلام المزعجة!

رأيت نفسي في تلك الأحلام وسط مساحة شاسعة فارغة؛ وقد تصاعدت الوحشة من جميع الجهات نحو السجن الذي قبعت حبيسًا فيه. شعرت بنفسي مقيدًا ومكممًا، تطاردني صرخات الجموع البعيدة المتعطشة لدمي!

ثم ظهر وجه عمي وقد بدا أقل لطفًا مما هو عليه في الحقيقة، وأتذكر العديد من النضالات غير المجدية من جانبي، ومحاولات الصراخ.

لم يكن نومًا ممتعًا، ولم أكن آسفًا للحظة على الصرخة التي اخترقت حواجز الحلم ودفعتني إلى الاستيقاظ مفزوعًا وقد بدا كل شيء أمام عيني بأكثر من وضوحه المعتاد.

5

كنت مستلقيًا وقد أدرت وجهي بعيدًا عن كرسي عمي، لهذا لم أر بعد هذا الاستيقاظ المفاجئ سوى باب الشارع، والنافذة الواقعة في أقصى الشمال، والحائط والأرض والسقف باتجاه شمال الغرفة، كلها واضحة المعالم أمام عيناي بشدة، في ضوء أكثر إشراقًا من وهج الفطريات أو أشعة الشارع الآتية من الخارج. لم يكن ضوءًا قويًا؛ بالتأكيد لم يكن قويًا بما يكفي لقراءة كتاب عليه. لكنه ألقى بظلي أنا وظل الفراش على الأرض، وكان ذا قوة صفراء شديدة.

رنت في أذني صدى تلك الصرخة الصادمة، بينما ثارت أنفي من الرائحة الكريهة التي ملأت المكان. ميز ذهني الذي تيقظ بشدة مثل حواسي تلك التغييرات في ثواني، فقفزت تلقائيًا واستدرت لأمسك بالأسلحة التي تركناها عند البقعة إياها بالقرب من المدفأة.

استدرت شاعرًا بالخوف مما سأراه؛ لأن الصرخة كانت بصوت عمي، ولم أكن أعلم ضد أي خطر سأدافع عنه - وعن نفسي - منه!

وكان المشهد الذي ينتظرني أسوأ مما كنت أخشى!

هناك أهوال تتعدى الكلمات، ولا تصلح لوصفها أي ألفاظ أو تعبيرات، وكان هذا واحدًا منها. كان منظرًا يتعدى كل بشاعة بوسع المرء تخيلها.

تصاعد بخار من الضوء الأصفر المقبض من الأرض المليئة بالفطريات، وأخذ يتدفق ويرتفع إلى علو هائل

صانعًا أشكالًا غامضة نصف بشرية ونصف وحشية، يمكن من خلالها رؤية المدخنة والمدفأة من خلفها.

تلاشى رأس ذلك الكيان الدخاني، والذي يشبه رؤوس الحشرات، في الأعلى صانعًا تيارًا رقيقًا من الضباب الذي تلوى لأعلى قبل أن يختفى أخيرًا فوق المدخنة.

لم يبد بالنسبة لي في ذلك الوقت سوى كسحابة فوسفورية خافتة من الفطر الكريه، تغلف وتذوب حول الشيء الوحيد الذي ركزت عليه كل انتباهي، وكان هذا الشيء هو عمي!

أخذ عمي يحدق نحوي بوجه مسود وملامح مجهدة، ومد مخالبه نحوي ليدفعني في كراهية جلبها كل هذا الرعب من حولنا. لقد كان شعورًا بمدى نمطية كل هذا هو ما منعني من الجنون. كنت قد دربت نفسي استعدادًا لهذه اللحظة الحاسمة، وأنقذني التدريب الكثير الذي قمت به.

أدركت أن ذلك الكيان المشؤوم لا يمكن تدميره عن طريق الأسلحة المادية أو المواد الكيماوية، وبالتالي تجاهلت قاذف اللهب التي لاحت في الأفق على يساري، والتقطت جهاز أنابيب كروكس، مطلقًا على ذلك الكيان أقوى إشعاعات تمكن من صنعها الإنسان في ذلك الوقت. تصاعد ضباب أزرق اللون ورذاذ مندفع، أما الضوء الفوسفوري اللامع الذي يميل إلى الصفرة فقد أصبح باهتًا أمام عيناي. لكنني رأيت أن تلك التغييرات مجرد تغييرات خارجية، وأن كل الإشعاعات الصادرة عن الآلة ليس لها أي تأثير على ذلك الكيان الكريه على الإطلاق!

وفي خضم ذلك المشهد الشيطاني، رأيت رعبًا جديدًا جلب الصرخات إلى شفتي قبل أن أهرع متعثرًا نحو ذلك الباب المفتوح المؤدي إلى الشارع الهادئ، متجاهلاً أي رعب تسببت في إطلاقه لهذا العالم، أو أي أفكار أو أحكام من الناس سيسلطونها على رأسي.

وسط هذا المزيج الخافت من اللونين الأزرق والأصفر، بدأ شكل عمي يتلاشى بطريقة مثيرة للغثيان، يستعصي منظرها على كل وصف، وقد بدا على وجهه المتلاشي تغييرات في الشكل لا يمكن أن يتصورها أحد عاقل!

صار في الحال شيطانا رجيما، لا ينفك وجهه يتغير لمئات الوجوه الصارخة القبيحة!

التمعت تلك الأضواء على وجهه الذي اتخذ عشرات - مئات - الأشكال، وهو يبتسم ابتسامة قبيحة مثله. ثم لم يلبث ذلك الجسد أن سقط ذائبًا على الأرض كأنه مصنوع من الشحم، ومن بين عشرات الوجوه التي ارتسمت لمحت الكثير من الوجوه الغريبة ولكنها ليست غريبة بالكامل. رأيت ملامح سلالة "هاريس"، الذكور والإناث، الكبار والصغار، وغيرها من الوجوه العجوزة والشابة، منها المألوفة التي رأيتها قبلًا، ومنها غير المألوفة التي لم أرها يومًا!

لثانية واحدة ظهرت صورة للبائسة "روبي هاريس" التي أُصيبت بالجنون، والتي رأيتها في متحف "مدرسة التصميم"، وفي مرة أخرى اعتقدت أنني لمحت وجه "ميرسي ديكستر" الناحل بارز العظام كما تذكرتها من لوحة رأيتها في منزل "كارينجتون هاريس".

كان الموقف مخيفًا بشكل لا يمكن تصوره! وبالقرب من النهاية، ومض مزيج غريب من وجوه الخدم والأطفال بالقرب من الأرضية الفطرية حيث انتشرت كتلة من الشحوم الخضراء، وبدا الأمر كما لو أن تلك الوجوه تتصارع فيما بينها، وتسعى جاهدة لتشكيل ملامح وجه عمي القديم اللطيف.

أحببت أن أعتقد أنه كان موجودًا في تلك اللحظة، وأنه بشكل ما كان يحاول توديعي. شعرت كما لو أن وداعًا ما قد خرج من حنجرتي الجافة بصوت متحشرج، بينما أنا أترنح خارجًا إلى الشارع؛ وقد أخذت طبقة رقيقة من الشحوم تتبعني عبر الباب إلى الرصيف المبلل بالمطر.

كان باقي ما حدث يومها غامض ووحشي. لم يكن هناك أحد في الشارع الغارق بمياه الأمطار، ولم يكن هناك من أجرؤ على إخباره في هذا العالم برمَّته عن أي شيء مما حدث.

مشيت بلا هدف جنوبًا متجاوزًا تل "كوليدج" و"أثينيوم"، أسفل شارع "هوبكنز"، وعبرت الجسر إلى القسم الإداري من الشارع، حيث شعرت أن المباني الشاهقة المنتصبة من حولي تحرسني كما تحرس الأشياء المادية الحديثة العالم من العجائب القديمة.

ثم تكشف الفجر الرمادي الرطب من جهة الشرق، راميًا بغلالة من الظلال فوق التلة القديمة وقممها العتيقة، وأخذني إلى المكان الذي كان لا يزال فيه عملي الرهيب غير مكتمل.

في النهاية ذهبت، مبتلًا، بلا قبعة، شاعرًا بالدوار في ضوء الصباح، ودخلت ذلك الباب المشؤوم في شارع "بنيفيت" الذي تركته مواربًا، والذي كان لا يزال يتأرجح بشكل مريب على مرأى من أصحاب المنازل المجاورة الذين لم أجرؤ على التحدث إليهم.

كانت كتلة الدهون قد اختفت، لأن الأرضية المتعفنة كانت مليئة بالمسام.

ولم يكن هناك أمام المدفأة أي أثر للشكل العملاق الذي كان موجوداً منذ بعض الوقت. نظرت إلى فراش المعسكرات، والكراسي، والأدوات، وقبعتي المرمية بالركن، وقبعة عمي المصنوعة من القش.

خيم الذهول والصمت على كل شيء، وبالكاد استطعت أن أدرك ما كان ينتمي لعالم الأحلام وما كان ينتمي لعالم الواقع.

ثم عاد الفكر، وعرفت أنني شاهدت أشياءً أكثر بشاعة مما كنت أحلم به.

جلست محاولًا أن أتذكر - بقدر ما سمح لي عقلي أن أتذكر - حقيقة ما حدث، وكيف يمكنني إنهاء كل هذا الرعب، بفرض أنه كان حقيقياً بالفعل!

يبدو أن المسألة ليست بتلك السهولة، فلم يبد أن هناك آثار إشعاع، ولا آثار أي شيء آخر يمكن أن تتخيله عقولنا الفانية. ماذا إذن يمكنه أن يكون، غير بعض آثار مصاصي الدماء التي يتم تداولها في أساطير "إكسيتير" الخرافية، التي تحكي عن بعض تلك الكيانات المظلمة التي تتربص فوق

باحات كنائس معينة؟

شعرت أن هذا هو الدليل، ومرة أخرى نظرت إلى الأرض الموجودة أمام المدفأة حيث اتخذ ذلك الفطر أشكالًا غريبة قبلًا.

استقر رأيي في غضون عشر دقائق، وأخذت قبعتي وأنا متجه إلى المنزل، حيث استحممت وأكلت وأعطيت عبر الهاتف أمرًا للحصول على معول، ومجرفة، وقناع عسكري مضاد للغازات، وستة قوارير من حامض الكبريتيك المركز، سيتم تسليمها جميعًا في صباح اليوم التالي عند باب قبو المنزل المنبوذ في شارع "بنيفيت"!

بعد ذلك حاولت أن أنام؛ وعندما فشلت في هذا أمضيت بضع ساعات في القراءة وفي كتابة بعض النصوص الساخرة في محاولة مني لمقاومة مزاجي المتعكر.

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي بدأت الحفر، كان الطقس مشمسًا، وكنت سعيدًا بذلك. كنت لا أزال وحدي، فبقدر ما كنت أخشى الرعب المجهول الذي سعيت إليه، كان هناك المزيد من الخوف في فكرة إخبار أي شخص!

أخبرت "هاريس" لاحقًا بسبب الضرورة المطلقة فقط، ولأنه سمع حكايات غريبة من كبار السن لم تجعله يميل إلى تصديق ما يحكى عن البيت.

عندما حفرت ورفعت التراب الأسود النتن الرائحة من أمام المدفأة، جرحت مجرفتي الفطريات البيضاء التي نزّت سائلًا أصفر لزج، فارتجفت مما قد أكتشفه لو حفرت

أكثر.

بعض أسرار الأرض الداخلية ليس من مصلحة البشر معرفتها، وقد بدا لي هذا كأحد أسرارها. اهتزت يدي بشدة، لكنني استمريت بالحفر؛ وبعد فترة وجيزة كنت أقف وسط الحفرة الكبيرة التي صنعتها.

زادت الرائحة الكريهة مع تعميق الحفرة التي بلغت مساحتها حوالي ستة أقدام، وفقدت كل شك في قرب اتصالي بالشيء الجهنمي الذي تسبب انبعاثه في لعن ذلك المنزل لأكثر من قرن ونصف. تساءلت كيف سيبدو – ما هو شكله ومن أي مادة هو مصنوع، وأي حجم سيكون قد اكتسبه عبر كل تلك العصور الطويلة التي قضاها في امتصاص الحياة ممن حوله!

خرجت بالنهاية من الحفرة وقمت بإبعاد التراب المتراكم، ثم قمت بترتيب القوارير الكبيرة من الحمض التي طلبتها حول الجانبين وقربهما، بحيث يمكنني عند الضرورة إفراغها جميعًا أسفل الفتحة سريعًا وراء بعضهم. بعد ذلك ألقيت بالتراب على الجانبين الآخرين فقط؛ والعمل ببطء أكثر وارتديت قناع الغاز عندما تزايدت الرائحة.

وقفت متوترًا بالقرب من ذلك الشيء المجهول في قاع الحفرة، وفجأة اصطدم مجرفي بشئ ناعم!

ارتجفت، ثم بدرت عني حركة كما لو كنت سأتسلق خارجًا من الحفرة التي أصبحت الآن بعمق رقبتي. عادت شجاعتي، وأزلت المزيد من التراب في ضوء المصباح الكهربائي الذي معي. كان السطح الذي اكتشفته غريب

المنظر والرائحة - نوع من الهلام المتجمد شبه الفاسد والشفاف. حفرت أكثر، ورأيت أن له شكل ما. كان هناك صدع انطوى فوقه جزء من تلك المادة. كانت المنطقة المكشوفة ضخمة وأسطوانية الشكل تقريبًا؛ مثل أنبوب موقد مغطى بفرو كفراء الماموث الناعم ولونه مزيج من الأزرق لكن بضعف حجم أنبوب الموقد الطبيعي، ويبلغ قطر الجزء الأكبر منه حوالي قدمين.

استمريت بالحفر أكثر، ثم قفزت فجأة خارجًا من الحفرة وبعيدًا عن ذلك الشيء القذر؛ قبل أن أقوم يسكب كل ما كان معى من حمض نحو تلك الحفرة الكريهة وما يوجد بداخلها مما لا يمكن تصوره من كيانات بشعة!

تصاعد بخار لونه هو مزيج من الأصفر والأخضر من الفتحة، وزحف في سرعة لأعلى بينما الحمض ينهش ما بالأسفل في وحشية وشراهة. كان منظرًا شنيعًا لا أظنه سيغادر ذاكرتي للأبد.

لا أظنه سيغادر ذاكرة أحد مما شهده، سواء من قريب أو من بعيد، فحتى الآن يتحاكى الناس بالتل عن "اليوم الأصفر"، عندما تصاعدت أبخرة صفراء كثيفة حارقة من مكب نفايات المصنع الذي ينسكب بنهر "بروفيدانس"، لكنني متأكد من أنهم أخطأوا في مصدر تلك النفايات.

يتحاكون كذلك عن الزئير المرعب الذي تصاعد بنفس الوقت من بعض أنابيب المياه أو الغاز الرئيسية والموجودة تحت الأرض، لكنها من جديد معلومة خاطئة أخرى يمكنني تصحيحها لهم إذا تجرأت. لكنني لا أظنني سأجرؤ يومًا على تصحيح تلك المعلومات، والأهم، لا أظنني أبالي

بتصحيحها من الأصل.

كان مشهدًا صادمًا بشكل لا يوصف، ولا أفهم حتى الآن كيف نجوت منه!

فقدت وعيي بعد تفريغ الدورق الرابع، بعد أن بدأت الأبخرة المتصاعدة تتغلغل مخترقة قناعي؛ وعندما استعدت وعيي أخيرًا، رأيت أن الفتحة لم يعد ينبعث منها أي أبخرة جديدة.

لكنني على أية حال أفرغت الدورقين المتبقيان دون توقع نتيجة معينة، وبعد فترة شعرت أنه من الآمن إعادة التراب إلى الحفرة. كان الشفق قد حل قبل أن أنتهي، لكن الخوف قد تلاشى من داخلي بالكامل.

قلت الرطوبة الموجودة بالمكان، أما الفطريات الغريبة فقد تحولت لتصبح أشبه بنوع من المسحوق الرمادي غير المؤذي الذي تطاير كالرماد من فوق الأرض مع أقل نسمة من الهواء تمر بالمكان.

لقد هلكت إلى الأبد واحدة من أخطر أشكال الرعب التي حلت على كوكب الأرض أخيرًا!

وإذا كان هناك جحيم حقًا ينتظر بالعالم الآخر، فقد نال أخيرًا الروح الشيطانية لذلك الكيان المقرف. وبينما كنت أقوم بالتخلص من آخر قطعة من بواقي ذلك الفطر، ذرفت أولى الدموع الكثيرة التي ودعت بها ذكرى عمي الحبيب.

في الربيع التالي، لم يعد هناك عشب شيطاني ولا أعشاب غريبة تظهر في حديقة المنزل المنبوذ، وبعد فترة وجيزة قام "كارينجتون هاريس" بتأجير المكان.

لا يزال مكانًا غريبًا مختلفًا، لكن غرابته تلك هي ما يسحرني، ووجدت شعورًا غريبًا بالأسف يطفو بداخلي عندما تم هدمه لإفساح المجال لبناء متجر حديث أنيق، أو مبنى سكنى مبتذل.

بدأت الأشجار القاحلة العتيقة المنتصبة في الفناء تُنبِت تفاحًا صغيرًا حلوًا، وفي العام الماضي كانت الطيور تعشش وسط أغصانها الخضراء الوارفة.

الكتاب المشئوم

قنوات مغلقة لحبس الشر... انفتحت فجأة

من لحظة إبحارك بين دفتي هذا الكتاب، لن يعود بوسعك أن ترى العالم كما عرفته من قبل؛ فقد فتحت بنفسك قنوات كانت مغلقة لحبس الشر، ستسمع أصوات أقدام مكتومة تتبعك. ستتعرف على كتاب شرير ومحرم؛ كتاب مليء بفقرات الرعب والإبهار، صاغها بعض السحرة الملعونين القدامى الغربيين، والذين كانوا يهتمون بالتعمق في أسرار الكون المحمية. سترى وتتعرف على أسرار عن نفسك لم يرها أحد، وبعدها ستكون أكثر ميلًا للصمت، أكثر ابتعادًا عن الآخرين خشية أن تكون مجنونًا. ستخشاك الكلاب، لأنها ستشعر بالظل الخارجي الذي لن يغادرك أبدًا.

عقب غلقك دفتي هذا الكتاب ستصير أقرب إلى تلك العوالم والكائنات الخارجية أكثر مما كنت عليه من قبل. ستصير أكثر حذرًا في تلاوة تعاويذك، لأنك بالمؤكد لا ترغب في الانفصال عن جسدك وعن الأرض؛ لتسقط في هاوية مجهولة ربما لا تعود منها أبدًا!

تأليف: إسلام مجاهد

t.me/twinkling4